

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م - الجزء الرابع - المجلد الثالث والخمسون

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م



مجلة المجمع العلمي

الجزء الرابع ـ المجلد الثالث والخمسون

بغداد

١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م

الفهـرس

الموضوع	الصفحة

مجلة المجمع العلمي

مجلة فصلية أنشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

ــ توجه البحوث والمراسلات إلى : رئيس تحرير مجلــة المجمـــع العلمـــي

المجمـــع العلمـــي ــ ص. ب. (٤٠٢٣) بغـداد ــ جمهوريـــة العـــراق

هـــاتف : (٤٢٢٤٢٠٢) فـــاكس : (٤٢٢٢٠٦٦/ ١ ــ ٩٦٤)

البريد الإلكتروني : iraqacademy @ yahoo.com

ــ الاشتراكات : داخل العراق (٤٠٠٠) دينار سنوياً .

خارج العراق (٥٠) دولار أمريكي سنوياً وتضاف أجرة البريد .

(شروط النشر وضوابطه)

١. تنشر المجلّة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق أهداف المجمع.

٢. لغة المجلّة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة.

٣. يشترط في البحث أن لايكون قد نشر أو قدم للنشر في مجلّة أخرى.

٤. تعرض البحوث المقدّمة للنشر في المجلّة على محكمين من ذوي الإختصاص لبيان مدى أصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر.

٥. هيئة تحرير المجلّة غير ملزمة برد البحوث الى أصحابها في حالة عدم قبولها للنشر.

٦. يرسل البحث الى المجلّة بالمواصفات الآتية:

أ. أن يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة أو مكتوباً باليد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة.

ب. ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل إسم الكاتب وعنوانه كاملاً باللغة العربية.

ت. يجب أن لا يزيد عدد الصفحات على (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة آلاف وخمسمائة كلمة.

ث. أن يكون مستوفياً للمصادر والمراجع، موثقة توثيقاً تاماً حسب الأصول المعتمدة في التوثيق العلمي.

ج. يرفق بالبحث ما يلزمه من أشكال أو صور أو رسوم أو خرائط أو بيانات توضيحية أخرى، على أن يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر إذا كانت مقتبسة.

ح. يرفق بالبحث ملخص باللغتين العربية والإنكليزية بحدود نصف صفحة لكل ملخص.

خ. تكتب الكلمات الدالة باللغة الإنكليزية.

٧. يعطى صاحب البحث (عند نشره) ثلاث نسخ من المجلّة مع عشرة مستلات من بحثه.

البحوث لا تعبّر بالضرورة عن رأي المجمع العلمي

نظرة تاريخية في التقانة الالكترونية

أ.د. داخل حسن جريو

رئيس المجمع العلمي

الملخص :

شهد القرن العشرين ثورة كبرى في علوم وتقانات الالكترونيات منذ اكتشاف الالكترون عام ١٨٩٧ ، نجم عنها صناعات الكترونية متطورة اسهمت بتغير نمط حياة الناس اليومية ، شهد النصف الاول من هذا القرن تطورات للتحكم بالالكترونيات في الأنابيب المفرغة ضمن مجالات كهربائية ، نجم عنها صناعات كثيرة مثل اجهزة المذياع واجهزة التلفاز والرادار والحاسوب .

وشهد النصف الثاني من القرن ولادة الكترونيات الحالة الصلبة ، بدءاً باختراع الترانزستر عام ١٩٤٧ ووصولاً الى الدوائر المتكاملة التي غيرت وجه الصناعة الالكترونية التي مازالت تشهد تطورات جمة عاماً بعد اخر . تسلط هذه الدراسة الضوء على ابرز تطورات التقانات الالكترونية منذ مطلع القرن العشرين حتى يومنا هذا .

مقدمة

بدأت الثورة الألكترونية باكتشاف الالكترون والصـــمامات المفرغـــة والبلورات التقنية والصمامات الثنائية والترانزسترات وغيرها. اخترع العـــالم البريطـــاني فلمنـــك John Ambrose Fleming الصـــمام الحراري او الصمام الثنائي Diode في العام ١٩٠٤. واستناداً الـــى اعمـــال اديســـون Thomas Edison صـــنع Fleming صـمام الذبذبات، اذ اكتشف ان التيار الكهربائي المار في الفراغ يكون احـــادي الاتجاه . وفي العام ١٩٠٧ حصل المخترع الامريكي فورست Lee de Forest على براءة اختراع الصمام الثلاثي (Triode) .

استخدم الصمام الثلاثي لتحسين الصوت في اجهزة الهاتف للمسافات الطويلة ، واجهزة المذياع والتلفاز ، وكذلك الاجهـــزة الحديثـــة مثـــل الحواسيب والمرسلات الفضائية .

اكتشف الباحث اوهل Russell ohl في العام ١٩٤٠(مختبرات بيل BELL الامريكية) ان كمية قليلة من الشوائب فـــي بلـــورات اشـــباه الموصلات تؤدي الى خواص كهربائية ضوئية وخواص اخرى مفيدة، ممهداً بذلك الطريق الى اكتشافات علمية اكبر في السنوات اللاحقة.

وفي العام ١٩٤٧ اكتشف الفريق العامل في مختبرات Bell والمؤلف من كل من :

William B . ،Walt H . B rattain ، Jom Bardeen Shockley الترانزستر. حصل هذا الفريق على جـــائزة نوبـــل عــام ١٩٥٦.

استخدم الترانزستر صناعياً اول مرة عام ١٩٥٢ في اجهزة الســمع. قامت شركة اجهزة تكساس Texas Instruments بصنع اول جهاز مذياع بأستخدام الترانزستر Transistor Radio عام ١٩٥٤ .

توصل عالم الكيمياء الفيزيائية تيل Gordon Teal الى امكانية صنع الترانزستر من مادة السليكون في العام ١٩٥٤ ، ممهداً بذلك الطريـــق لصناعة الترانزستر على نطاق واسع .

وفي العام ١٩٥٨ – ١٩٥٩ تمكن المهندس الكهربـــائي كيلبـــي Jack Kilby من شركة اجهزة تكساس، ونـــويس Robert Noyce مـــن شركة Fairchild Semiconductor كلاً على انفراد مـــن اختـــراع الدائرة المتكاملة Integrated Circuit . بنى كيلبي في العام ١٩٥٨ دائرة متكاملة احتوت على مكونات متعددة مربوطة بأســـلاك ذهبيـــة، وموضوعة في رقيقة سليكون صغيرة جداً ، صانعا بذلك دائرة صلبة . وفي العام ١٩٥٩ طور نويس دائرته المتكاملة بأستخدام روابط مغطاة ببخار معدني مما ساعد كثيراً على التصغير من جهة ، والانتاج الاكبر من جهة اخرى وقد حصل بذلك على براءة اختراع في عام ١٩٥٩ .

وفي العام ١٩٦٢ اخترع المهندســـان هايمـــان , Steven Hofstein Frederic Heiman العاملين في مختبرات بحـــوث RCA فـــي New Jersy و Princeton/ الولايات المتحدة الامريكية ، ترانزســـتر اثر المجال (MOSFET) :

The Metal Oxide Semiconductor Field Effect Transistor

امتاز هذا النوع من الترانزسترات برخص تكلفته ، وقلة حاجته الى القدرة الكهربائية .

استطاعت شركة Intel الامريكية في العام ١٩٧١ تصنيع حاسوب في رقيقة The 4004 Bit Microprocessor . يتمكن هذا الحاسوب من تنفيذ ٦٠٠٠٠ عملية في الثانية . ساهم بتصميم هذا الحاسوب فريق العمل المكون من كل من : مازور وهوف وفاكن Stan Mazor,Ted Hoff , Frederico Faggin.

توصلت شركة IBM في العام ١٩٩٧ الى تقانة رقائق جديدة تعتمد على الاسلاك النحاسية بدلاً من اسلاك الالمنيوم لربط الترانزسترات في الرقائق بحيث يمكن وضع اكثر من ٢٠٠ مليون ترانزستر في الدقيقة الواحدة. وفي العام ١٩٩٨ توصل فريق من الباحثين في مختبرات شركة BELL الامريكية الى ترانزسترات بلاستيكية بحيث يمكن استخدامها في شاشات حاسوب مرنة، وفي البطاقات الذكية .

يشهد عصرنا الراهن المزيد من التطورات التقنية في المجالات الالكترونية المختلفة بفضل جهود العلماء والباحثين والمهندسين في ارجاء العالم المختلفة .

البصريات الالكترونية

ادت التطورات في تقانات التصوير عامة و تقانة البصريات الالكترونية خاصة، و المتمثلة بتسجيل الصور، بما في ذلك الصور الملونة، والتصوير الثلاثي الابعاد، والتصوير الرقمي، واختراع الصور

المتحركة وغيرها، الى تأثيرات كثيرة في حياة الناس في دول العالم المختلفة . و قد لعبت تقانات البصريات الالكترونية دورا مهمـا في مجال الالكترونيات الرقمية و ذلك بقيام الحزم الالكترونية بحفر مئـات ملايين الترانزسترات في سطح رقائق ذاكرة الحاسوب و المعالجـات الدقيقة . كما لعبت دورا لا يقل اهمية في مجالات الطب و الفضاء .

كانت البصريات موضع اهتمام العلماء و المهندسين منذ زمن طويل ، اذ بذلت جهودا حثيثة لتوسيع مدى الابصار ابعد مـن ابصـار العـين المجردة . ففي العام ١٨٨٥ استطاع العالم ايستمان تحسين السليلود ، واستعماله في مطلع القرن العشرين بألته التصويرية ، و حتـى الالات التصوير الرقمية تسجل ما حولنا بحزمة الكترونية .

كان اكتشاف الاشعة السينية و احدا من الانجازات الكثيرة التـي ادت الى صناعة اجهزة التصوير التي باتت تستخدم في مجالات كثيرة، منها المجالات الطبية والعسكرية والتنبؤات الجويـة وتقانـات الحاسـوب والفضاء الخارجي .

يعود اكتشاف الاشعة السينية الى العام ١٨٩٥ عندما اكتشف الفيزيائي الالماني ريونتجن Wilhelm Konrod Roentgen نوعا من الاشعة التي يمكنها اختراق الاجسام الغامضة اللون واعطاء صورها على لوحة تصوير ، اطلق عليها اسم اشعة X ، و لاثبات وجود هذه الاشعة ، قام ريونتجن بتعريض يد زوجته لهذه الاشعة ، والحصول علـى صـورة تبين عظام اليد وخاتم بأصبعها كظلال اسود في لوحة التصوير. و قـد تبين لاحقا ان هذه الاشعة، انما هي شـكل مـن اشـكال الاشـعة الكهربائية _ المغناطيسية ذات اطوال موجية اقصر كثيرا من اطـوال

امواج الضوء المرئي . و تعزى القدرة الاختراقية لهذه الاشعة الى قصر ترددها العالي .

وبأختراع الامريكي كولدج William Coolidge للصمام المفرغ عام ١٩١٣ الذي بامكانه توليد الاشعة السينية X بأمان ، اصبح بالامكان الاستفادة من هذه الاشعة بصورة عملية للاغراض الطبية في السنين اللاحقة .

تعود بدايات تقانة البصريات الى العام ١٩٠٠ عندما صنع ايستمان اول الة تصوير التي عرفت بأسم كوداك Kodak Brownie . وقد بيع من الة التصوير هذه ١٥٠٠٠٠ الة تصوير في السنة الاولى من صنعها .

اخترع كولدج William David Cooldiage في العام ١٩١٣انبوبة الاشعة السينية الكاثودية الساخنة Hot cathode X Ray Tube باستخدام انبوبة حرارية مع باعث الكتروني كاثودي ساخن بدلا من الانبوبة الباردة او انبوبة الغاز . و في العام ١٩١٣ لاحظ عالم الامراض الالماني سليمان Albert Soloman عند استخدامه ماكنة الاشعة السينية الاعتيادية للحصول على ٣٠٠٠ صورة تشريحية لاستئصال الثدي ، وجود نقط سوداء في وسط الثدي . استخدمت هذه الطريقة منذ العام ١٩٢٧ لتشخيص اورام سرطان الثدي.

اخترع العالم الفيزيائي الفرنسي لانكفن Paul Langevin بالاشتراك مع المهندس السويسري جلوسكي Constantin Chilowsky في العام ١٩١٥ مسماع مائي Hydrophone بذبذبات عالية ، جهاز صدى صوتي فوق السمعية.

ادخلت البحرية الأمريكية تحسينات على أجهزة المسماع المائية ، واستخدمت هذه الأجهزة في غواصاتها في الحرب العالمية الأولى.

وشكل هذا العمل اساساً للبحث والتطوير أجهزة السونار المستخدمة في البواخر البحرية.

بنى مهندس الكهرباء الألماني رسكا Ernst Ruska في الأعوام من ١٩٣١ إلى ١٩٣٣ أول مجهرالكتروني. يستطيع هذا المجهر رؤية قطر ذرة ، وقوة تكبير بمقدار مليون مرة.

اخترع العالم البريطاني واط Robert Watson Watt في العام ١٩٣٥ الرادار. وقد استخدم هذا الرادار في الحرب العالمية الثانية لكشف الطائرات الألمانية وتوفير المعلومات لصد المقاتلات المهاجمة لبريطانيا.

تمكن كل من بوت Henry Boot ورندل John Randall بجامعة برمنغهام البريطانية في العام ١٩٣٩، من صنع جهاز مغنطرون الفجوة الرنينية Resonant-Cavity Magnetron ، الذي يجمع مزايا جهاز المغنطرون وجهاز الكلوسترون Klystron. يستطيع جهاز المغنطرون توليد نبضات ذات ترددات راديوية عالية مع مقدار كبير من القدرة ، وهو أمر ساعد على تطوير تقانة الرادار ، وساعد الحلفاء في الحرب العالمية الثانيةكثيرا بتعزيز قدراتهم الدفاعية.

بدأت مختبرات الاشعاع في معهد.M.I.T في العام ١٩٤٠ البحوث لتطوير منظومات الرادار ذات الموجات المتناهية الصغر.

استخدم الرادار في الولايات المتحدة الامريكية في العام ١٩٤٣ للكشف عن الأعاصير، واستخدم في العام ١٩٤٦ لأغراض تنظيم الطيران المدني. وفي عقد الخمسينيات من القرن المنصرم توصل موركن Russel Morgan استاذ علم الأشعة بجامعة جونن هوبكنز الأمريكية وجامبرلن Edward Chamberlain استاذ الاشعة بجامعة تمبل

وكولتمن John W. Coltman الفيزيائي في بحوث وستنغمهوس، إلى طريقة لتحسين شاشة التعريف وتخفيض الأشعاعات المنبعثة منها، وما زالت هذه الطريقة مستعملة حتى الآن في المجالات الطبية والعسكرية لاسيما في التطبيقات الليلية.

اكتشف فرانكلين Rosalind Franklin اساس البنية الأهليليجية للحامض النووي DNA عند استخدامه صوراً سينية بلورية. واستخدم عالما الكيمياء البريطانيين بورتز Max Perutz وكندور John Kendrew الأشعة السينية البلورية لمعرفة بنية البروتينات حاملة الأوكسجين (المابوغلوبين والهيموغلوبين). وقد حصلا على جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٦٢.

اخترع العالم انكر Hal Anger في العام ١٩٥٨جهاز التصوير الطبي الذي يمكن الأطباء من كشف الأمراض الخبيثة وتشخيصها بتصويراشعة كاما المنبعثة من النظائر المشعة.

طور العالم دونالد Ian Dnoald وفريقه بجامعة كلاسكو البريطانية في العام ١٩٥٩ طريقة تقنية عملية (فوق الصوتية) كأداة تشخيص في النسائية والتوليد، بعرض صوراً على الشاشة للأنسجة والأعضاء المتكونة بصدى الموجات الصوتية الغير مسموعة بترددات عالية الساقطة على الجسم. استخدمت هذه التقنية للكشف عن الأورام وتحليل بنية العظام وفحص صحة الأطفال في بطون امهاتهم قبل الولادة.

إخترع رجارد Powell Richards وتكر Walter Tucker واخرين العاملين في مركز البحوث الهندسية بقسم الطاقة بمختبرات بروك هيفن Brookhaven القومية الأمريكية في العام ١٩٦٠ ، مولد نويدة

اشعاعية لأنتاج مادة التكنيتوم Technetium لإستخدامها لأغراض التصوير التشخيصي في الطب الذري.

شهد عقد الستينيات من القرن المنصرم قيام مصانع اشباه الموصلات باستخدام الطباعة الحجرية البصرية. وفي العام ١٩٦٨ بعثت مركبة الفضاء الأمريكية ابولو ٧ صوراً تلفزيونية من داخل المركبة إلى سطح الأرض. وفي العام ١٩٧٣ قامت المحطة الفضائية الأمريكية سكاي لاب بتصوير الأرض باستخدام منظومات الاستشعار عن بعد التصويرية الموجودة في المحطة.

صنع المهندس البريطاني هونز فيلد Godfrey Hounsfield والفيزيائي الأمريكي كورماك Allan Cormack من جامعة تفتز Tufts في العام ١٩٧٢ ، مفراس التصوير الشعاعي الطبقي ذو المحور المحوسب CAN Scan بمعاونة الحاسوب ، يجمع هذا المفراس العديد من صور الأشعة السينية لتوليد مقطع عرضي لصورة ذات ثلاث أبعاد للأعضاء الداخلية وبنيتها. وقد أصبح هذا الجهاز الأداة الأساسية لتشخيص الاضطرابات الدماغية وأمراض العمود الفقري. وقد منح هونز فيلد وكورماك جائزة نوبل عام ١٩٧٩ في الطب.

وباستخدام الحواسيب السريعة استعمل تصوير الرنين المغناطيسي MRI للأغراض الطبية منذ العام ١٩٧٢ ، لما يوفر من تمييز أفضل للأنسجة الرخوة ، مقارنة مع المفراس CAT. ويعود الفضل بتطوير جهاز الرنين المغناطيسي MRI إلى جهود علماء كثيرين ، ابرزهم بلوك Felix Bloch وبيرسيل Edward Purcell الحائزين على جائزة نوبل عام ١٩٥٢ ، ولوتربر Poul Lauterbur ودامدين Raymord Damadian.

صنع العالمين الألمانيين الفيزيائين بننك Gerd Binning وروهر Heinrich Rohrer العاملين في مختبرات بحوث شركة IBM الأمريكية في زيورخ في العام ١٩٨١ ، مجهر المسح النفقي STM.
وفي العام ١٩٨٦ صنع بننك وكويت Cal Quate وكربر Christoph Gerber مجهر القوة الذرية AFM ، الذي يستخدم في علوم النانوتكنولوجي والبوليمرات ومواد اشباه الموصلات والأحياء المجهرية وعلم الحياة الجزيئي. ونتيجة لهذا الاختراع ، حصل بننك وروهر على جائزة نوبل في الفيزياء عام ١٩٨٦ ، مناصفة مع العالم رسكا Ernst Ruska لأعماله المتميزة في الألكترونيات البصرية.
وفي العام ١٩٨٧ استخدم تصوير الصدى المسطح (EPI) -Echo Planar Imaging للتصوير السيمي في الزمن الحقيقي لدورة قلبية واحدة.

ويعود الفضل بتطوير تقنية EPI إلى العالم الفيزيائي مانسفيلد Peter Mansfield من قسم الفيزياء والفلك بجامعة نتنغهام البريطانية في العام ١٩٧٧.

فتح ظهور MRI التنفيذي في العام ١٩٩٣ تطبيقات جديدةٍ لتصوير الصدى المسطح لمسح مناطق من الدماغ المسؤولة عن التفكير ، وهو يوفر بعض المعلومات لتحري الجلطات الدماغية. وفي العام ١٩٩٠ وضع تلسكوب هيبل في المدار الفضائي ، وهو عبارة عن مرصد فضائي.
أطلقت وكالة ناسا الفضائية في الأعوام من ١٩٩٠ إلى ٢٠٠٠ مركبات آلية مزودة بأجهزة تصوير متنوعة كجزء من منظومتها الفضائية لدراسة المنظومة الشمسية.

الليزر والالياف البصرية

تعد تقانة الليزر والالياف البصرية ركنـا اساسـيا بتطـوير هندسـة الاتصالات وصناعة الاجهزة الطبية الجراحيـة واجهـزة الحاسـوب وغيرها، وباتت تشكل اليوم جانبا مهما في الحياة المعاصرة منذ ظهور الالياف البصرية في عقد السبعينيات من القـرن العشـرين، اذ تنقـل اشارات الليزر العالية التردد، المعلومات والمكالمات الهاتفية في ارجاء العالم المختلفة بكفاية عالية وسرعة فائقة جداً.

اقترح العالم البرت انشتاين Albert Einstein نظرية تحفيز الانبعاث عام ١٩١٧ التي مفادها انه اذ حفزت ذرة في حالة طاقة عالية بفوتون ذو طول موجة مناسب، سيتولد فوتون بطول الموجة نفسـه وباتجـاه حركته سيستخدم الانبعاث المحفز ليشكل اساس البحث في الفوتونـات المستخدمة لتضخيم الطاقة الضوئية.

طور العلماء تونز Charles Townes وكوردن Jamws Gordon وزيكر Herbert Zeiger(من جامعة كولومبيا) فـي العـام ١٩٥٤، الميزر Maser لتضخيم المايكروويف بانبعاث الاشعاع المحفز حيـث تتضخم جزيئات الامونيا المحفزة وتولد موجات راديوية. استغرق هذا العمل ثلاث سنوات من الجهد المثابر منذ اول فكرة طرحها تونز عـام ١٩٥١ للافادة من تذبذب الجزيء العالي التردد لتوليد موجات راديوية ذات اطوال موجات قصيرة.

نشر تونز والعالم الفيزيائي سكارلو Arthur Schawlow بحثا فـي العام ١٩٥٨، بينا في هذا البحث ان بالامكان تشغيل الميـزرات فـي

المناطق البصرية والمناطق فوق الحمراء. يشرح البحث مفهوم الليزر Laser :
Light Amplification by Stimulated Emissionof ·
Radiation) اي انعكاس الضوء ذهابا وايابا مزود بالطاقة لتوليد ضوء مضخم. اخترع الباحث في مختبرات بيل جافان Ali Javan) احد طلبة تونز) وفريقه المكون من بننت (William Bennett) ، وهروت Donald Herriot في العام ١٩٦٠، اول شعاع ليزر غاز الهليوم والنيون المستمر التشغيل. يستخرج شعاع الليزر المستمر بوضع مرآتين على طرفي جهاز يولد تيارا كهربائيا من خلال غازات الهليوم والنبون.

اخترع الفيزيائي والمهندس الكهربائي ميمان Theodore Maiman (من مختبرات هيوز Hughes Research Laboratoeies) في العام ١٩٦٠ شعاع ليزر يمكن تشغيله بأستعمال بلورة ياقوتة اصطناعية كوسط . وقد سبق طالب الدكتوراه Gordan Gould بجامعة كولومبيا المهندس ميمان بتصميم الليزر، الا ان طلبه لتسجيل براءة الاختراع باسمه قد رفض في بادئ الامر، ولكنه حصل على الاعتراف بحقوق براءة الاختراع بعد ٣٠ عام تقريبا.

استعرض الباحثان الصناعيان سنتزر Elias Snitzer، وهكز Will Hicks، في العام ١٩٦١ شعاع ليزر موجه من خلال الياف زجاجية رفيعة. الا ان معظم العلماءوجد ان هذه الالياف غير مناسبة للاتصالات بسبب فقدان كمية كبيرة من الضوء عبر المسافات الطويلة.

كان اول استخدام طبي لاشعةالليزر في العام ١٩٦١، عندما استخدم كامبيل Charles Compbell (من معهد طب العيون في المركز

الطبي في كولومبيـــا)، وكوســتر Harles Koester (مــن شــركة البصريات الامريكية)، ليزر ياقوتي تجريبي لمعالجة ورم سرطاني في شبيكية عين مريض.

تمكنت ثلاث مجاميع من شركةجنرال الكترك،و IBM و MIT فـــي آن واحد، في العام ١٩٦٢ من تصنيع ليزر فوق الحمراء. استعمل هذا الشعاع لاحقا في الاقراص المكتنزة CD وطابعات الحاسوب الليزرية.

اقترع العالم الفيزيائي كرومر Herberst Kroemer في العام ١٩٦٣ فكرة التراكيب المغايرة،بضم اكثر من شبه موصــل واحــد بطبقــات لتخفيض متطلبات الطاقة لليزرات،وزيـــادة كفايتهـــا. اســتعملت هــذه التراكيب المغايرة لاحقا في الهواتف الخلوية وغيرهــا مــن الاجهــزة الالكترونية.

نشر هوكهـــام George Hockham وكـــو Charles Koo (مــن مختبرات Standard Telecommunications الانكليزية) في العام ١٩٦٦ بحثا مهما جدا، اوضحا فيه ان الالياف البصرية يمكنهـــا بـــث اشارات الليزر ، بأقل خسارة اذا كانت الاوعية الزجاجية نقية.

بذل الباحثون جهودا حثيثة لتنقية الزجاج ،وقد نجــح العلمـــاء كســك Donald keck وســـكيلتز Peter Schultz ومـــايورر Robert Maurer في تصنيع الياف بصرية مطابقة لمواصفات هوكمام وكـــو.

تمكن الباحثون في العام ١٩٧٢ من تصنيع الياف بصـــرية بفقـــدان ٤ ديسبيل لكل كيلومتر ، وهي اقل كمية فقد متحققة حتى ذلك الوقت.

تمكن فريق من الباحثين في مختبرات بيل مع فريق باحثين من المعهد الفيزيائي بمدينة لنينغراد الروسية في العام ١٩٧٠ من صـــنع ليـــزر اشباه الموصلات، يمكن تشغيله في درجات الحرارة الاعتيادية بصورة

مستمرة، وبذلك فتح هذان الانجازان الافـاق الواسـعة لاسـتخدامات الالياف البصرية تجاريا.

توصل ماكاجسني John Machesney، واوكونر Paul O Conner (من مختبرات بيل) في العام ١٩٧٣ ،الى طريقة معدلة لعملية ترسيب البخار الكيميائي الذي يسخن الابخرة الكيميائية والاوكسـجين لتكـوين الزجاج العالي الشفافية، ويمكن انتاجه بكميات كبيرة لأغراض الالياف البصرية قليلة الفقد. ومازالت هذه الطريقة هي الطريقة المعتمدة حتـى الان بصناعة قابلوات الالياف البصرية .

صنع أول ليزر اشباه الموصلات للاغراض التجارية في العام ١٩٧٥، ويعمل باستمرار في درجات الحرارة الاعتيادية. تسمح عملية الموجـة المستمرة ببث المكالمات الهاتفية .

بدأت شركات الهواتف في العام ١٩٧٧، بتجريب اسـتعمال الاليـاف البصرية لنقل المكالمات الهاتفية. شهد العام ١٩٨٠ استعمال قـابلوات الالياف الضوئية للاتصالات بين المدن الكبرى في الولايـات المتحـدة الامريكية . صنع بيني David Payne (من جامعة ساوث همبتون في انكلترا) في العام ١٩٨٧ ،مضخم بصري، يستطيع هذا المضخم تقوية الاشارات الضوئية دون الحاجة لتحويلها اولا الى الاشارات الضـوئية، ومن ثم الى الضوء .

انشي اول قابلو الياف ضوئية عبر المحيط الاطلسي في العام ١٩٨٨ ، لربط امريكا الشمالية و فرنسا .يستطيع هذا القابلو نقل ٤٠٠٠٠ مكالمة هاتفية في ان واحد .

تمكن دسرفاري Emmanuel Desurvire (من مختبرات بيـل) ، بالتعاون معى بيني ، و ميرز Mears.P.J. (من جامعـات سـاوث

همبتون) في العام ١٩٩١، من صنع مضخمات بصرية مبنية في قابلو الالياف البصرية نفسه .تستطيع هذه المنظومة نقل معلومات اكثر بمائة مرة من القابلوات الضوئية المزودة بمضخمات الكترونية .

نصب اول قابلو الياف ضوئية مزود بالمضخمات البصرية عبر المحيط الهادي للاتصالات بين الولايات المتحدة الامريكية و اليابان بمعدل ٣٢٠٠٠٠ مكالمة هاتفية في آن واحد . نصب اول قابلو الياف ضوئية حول العالم في العام ١٩٩٧، ليوفر البنية التحتية لتطبيقات شبكة الانترنت المستقبلية .

وجد الليزر استعمالات كثيرة ، تكاد لا تعد و لاتحصي في مجالات الحياة المختلفة، اذ يستخدم الليزر في قطع المعادن و تشكيلاتها ومعالجتها، وفي صنع رقائق الحاسوب، و تثقيب السيراميك و في حفر القنوات، وفي العمليات الجراحية وغيرها. تؤدي الليزرات النبضية دورا هاما لا يقل عن دور الليزرات المستمرة.

يمكن ان تؤدي هذه الليزرات مهام الرادار البصري، بالتقاط انعكاسات من اجسام صغيرة بحجم جزيئات الهواء، بحيث يستطيع العاملين في محطات الانواء الجوية تحري اتجاه الرياح او قياس كثافة الهواء ، كما يمكن توقيت هذه الانعكاسات لقياس المسافات بدقة ، فعلى سبيل المثال باستعمال ليزر نبضي عالي القدرة ، موجه الى مرايا موضوعة على سطح القمر امكن قياس المسافة من الارض الى القمر بخطأ لا يتجاوز الانجين.

الألكترونيات الطبية

شهد القرن العشرين تحسناً كبيراً بالخدمات الصحية وذلك بفضل التقانات الألكترونية الطبية التي اسهمت بصنع اجهزة طبية متقدمة ساعدت الاطباء على تشخيص الأمراض بصورة افضل ، ومعالجتها بصورة انجع. وقد نجم هن هذا التحسن تقليل وفيات الاطفال والتغلب على الكثير من الاوبئة الصحية ، وزيادة معدلات اعمار الناس في دول العالم المختلفة، فعلى سبيل المثال ازداد العمر المتوقع للانسان في الولايات المتحدة الامريكية من ٤٧ سنة عام ١٩٠٠ الى ٧٧ سنة عام ٢٠٠٠.

نتناول في هذا البند ابرز تطورات التقانات الطبية في القرن العشرين، ففي العام ١٩٠٣ طور الطبيب الهولندي انثوفن Willem Einthoven أول جهاز تخطيط قلب ، قادر على قياس التغييرات الصغيرة في الجهد الكهربائي عند انقباض وانبساط عضلة القلب. عند تثبيت الاقطاب بالذراعين ورجل المريض اليسرى ، يتمكن انثوفن من تسجيل نسق موجة القلب إذ تنحرف السلسلة ، وباعاقة شعاع ضوئي وتسجيل ظله على لوحة تصوير أو ورقة. منح انثوفن جائزة نوبل في الطب في العام ١٩٢٤ تقديراً لهذا الانجاز.

صنع الباحث الطبي درنكر Philip Drinker(من جامعة هارفرد) ، بمساعدة شو Louis Agassiz في العام ١٩٢٧، اول جهاز تنفس اصطناعي باستعمال صندوق حديدي وماكنتي تنظيف.

وفي عقد الثلاثينيات اخترع طبيب القلب الامريكي هامان Albert S. Hyman منظم ضربات القلب الاصطناعي لانقاذ مرضى القلب. وقد جرب هذا الجهاز على الحيوانات بنجاح ، إلا انه لم يلقى القبول في الاوساط الطبية.

قادت ابحاث العالم الامريكي كيرين هوفن Kouwenhoven بجامعة هوبكن ، في موضوع الصدمات الكهربائية ، ودراسة تاثيرات الكهرباء على القلب الى صنع جهاز انعاش القلب الكهربائي في العام ١٩٣٣. نجح الطبيب الهولندي كولف Willem J. Kolff في العام ١٩٤٥ بمعالجة مريض كان على وشك الموت بغسل كليته بواسطة ماكنة اصطناعية كان قد قام بصنعها عبر جهود لسنين طويلة. استخدم الجراح الانكليزي جارنلي John Chanley في اواخر عقد الخمسينيات من القرن المنصرم، المبادىء الهندسية في جراحة العظام والكسور ، لصنع اول فخذ اصطناعي. استخدمت مبادىء جارنلي في السنوات اللاحقة في استبدال مفاصل الركبة والكتف.

صنع استاذ الجراحة التجريبية بجامعة جورج تون الامريكية ، هيفنغل Charles Hufnagel صمام قلب اصطناعي في العام ١٩٥١، واجرى اول عملية جراحية لزرع صمام قلب اصطناعي لمريض قلب في السنة التالية. لا يستبدل الصمام الاصطناعي الصمام المريض ، بل يكون مساعداً له. كانت اول عملية استبدال صمام مريض في العام ١٩٦٠، انجزها جراحان في بوسطن. واجريت تحسينات على صناعة الصمام الاصطناعي بجامعة اركون Oregon الأمريكية من الجراح ستار Albert Starr والمهندس الكهربائي ادوردز Lowell

Edward، معلنين بذلك ولادة صمام القلب ستار وادوردز الذي مازال يستخدم حتى يومنا هذا.

صنع الامريكي زول Paul M. Zoll بالتعاون مع شركة الكتروداين Electrodyneفي العام ١٩٥٢ ، اول منظم ضربات قلب Cardiac Pacemaker. وفي العام ١٩٥٣ اجرى الطبيب كبسون John H. Gibbson (من ولاية فيلادلفيا الامريكية) أول عملية جراحية قلب مفتوح لشخص مريض ، إذ تم معاونة قلبه ورئتيه بجهاز صنعه كبسون نتيجة تراكم تجاربه وبحوثه لعقدين من الزمن ، فاتحا بذلك عهدا جديدا في جراحة القلب اذ اصبحت عمليات جراحة القلب المفتوحة عمليات جراحية عادية.

زرعت اول كلية نقلت من شخص سليم الى شخص مريض في بوسطن عام ١٩٥٤ من فريق طبي قاده الجراح ميوري Joseph E. Murray بنجاح.

نجح المهندس الكهربائي كريت باج Wilson Greatbatch من ولاية نيويورك في العام ١٩٦٠، بصنع اول منظم ضربات قلب داخلي باستعمال ترانزستري سليكون تجاريين، وقد زرع الجراح جاردك William Chardackمنظم باج في عشرة اشخاص مرضى قلب ، علش الاول منهم ١٨ شهرا وعاش اخر ٣٠ سنة بعد اجراء العلمية.

بدأ الامريكي اسبرينس Francis L. Esperance في العام ١٩٦٣ باستخدام الليزر لمنع بعض حالات العمى التي يتعرض لها بعض مرضى داء السكري .

وبتقدم تقانة الالياف البصرية إصبح بامكان الجراحين بنهاية عقد السبعينيات من القرن المنصرم رؤية المفاصل والمواقع الجراحية الاخرى بواسطة منظار المفصل Arthroscope. جهاز لا يتعدى قطر قلم عادي ، يحتوي على عدسات صغيرة و منظومة ضوئية ، و الة تصوير فديوية بنهايتها الخارجية . استعمل هذا الجهاز في البداية كأداة تشخيصية قبل بدء العملية الجراحية . و قد انتشر هذا النوع من الجراحة لمعالجة الكثير من امراض المفاصل ذلك انه لا يحتاج سوى حز بسيط، و يمتاز عموما بقصر مدة شفاء المريض.

شهد العام ١٩٤٨ صناعة عدسات العيون اللاصقة. طور صنع عدسات العين اللاصقة في العام ١٩٧ بفضل بحوث العالمين الجيكيين و جترله Ott Wichterle و لم Drahoslav lim .

بدأ استعمال مفراس CT المعروف بـــ CAT في التصوير الطبي في العام ١٩٧٢، الذي يعد اهم انجاز بالتصوير الطبي منذ اكتشـــاف اشعة X. بدأ العمل في العام ١٩٨١ بتصوير الرنين المغناطيسي MRI.

قام الاسترالي كلارك في العام ١٩٧٨ Grame Clark بزراعة اول قوقعة في الاذن الداخلية Cochlear، وذلك بفضل التقدم الحاصل بتقانة الدوائر المتكاملة التي ساعدته على تصميم مستقبل – منبه صغير جدا .

زرع اول قلب اصطناعي لمريض في الولايات المتحدة الامريكية في العام ١٩٨٢ ، وقد كان هذا القلب الاصطناعي مصنوعا من المطاط والسليكون،و صمم من اشخاص كثيرين ابرزهم : جارفك Robert Jarvik واولسن Don Olsonوكولف William Kolf. قام الجراح دي فرايز William Devries وفريق من الاطباء بجامعة يوتا

الامريكية بزراعة القلب الاصطناعي. وقد عاش المريض مدة ١١٢ يوم بعد انتهاء العلمية .

اعتمدت ادارة الاغذية والادوية الامريكية منظم ضربات القلب الذي صممه ماروكسي Michel Mirowski في العام ١٩٨٥. نجح الفرنسي بنابد Alim Louis Benabid رئيس فريق جراحة الاعصاب بجامعة غرنوبل Grenoble في العام ١٩٨٧بزراعة منظومة محفز كهربائي في اعماق دماغ مريض مصاب بمرض باركنس المتقدم. وفي العام نفسه اجريت اول عملية ليزرية لقرنية العين.

بدأ مشروع الجينوم البشري في العام ١٩٩٠ بهدف تشخيص ٣٠٠٠٠ جين في الحامض النووي البشري DNA وايجاد سلسلة المزدوجات الكيميائية المكونة للحامض النووي والبالغ عددها ثلاث مليارات.

وخلاصة القول ان التطورات التي شهدتها التقانات الطبية كانت نتيجة التطبيقات الهندسية واسس علوم الحياة في المجالات الطبية المختلفة وهو امر اتاح للاطباء رؤية افضل لكيفية عمل جسم الانسان ومعالجة امراضه بدءا من ايجاد ادوات التشخيص الافضل وتحسين اساليب اجراء العمليات الجراحية وانتهاء باستبدال بعض الاعضاء البشرية، فضلا عن اكتشاف الكثير من الادوية واللقاحات الطبية مثل لقاحات شلل الاطفال والمضادات الحيوية وتخليق الادوية.

يتوقع ان تلعب الهندسة الاحيائية دورا هاما بمعالجة الكثير من المشاكل الطبية في القرن الحادي والعشرين. كان القرن العشرين حافلا بحق بالكثير من الانجازات العلمية الطبية المتميزة التي تركت اثارا عميقة في الحياة الأنسانية.

المذياع والتلفاز

يعد المذياع والتلفاز احد اهم عوامل التغييرات الاجتماعية التي شـــهدها القرن العشرين، اذ انها فتحت افاقا واسعا للتواصل بين الناس في دول العالم المختلفة. يعود الفضل باختراع الراديو والتلفزيون الـــى جهـــود العالم ماكسويل James Clerk Maxwell في القرن التاســـع عشـــر الذي اول من وضع نظرية الاشارات الكهربائية المغناطيسية، والعـــالم هيرتز Heinrich Hertz الذي اول من اكد امكانيـــة بـــث الاشـــارات الكهربائية المغناطيسية، والعالم تسلا Nikola Tesla الذي اخترع ملف تسلا الذي يحول تيار جهد واطئ الى تيار جهد عالي، والعالم ماركوني Gugliemo Marconi الذي وضع نظرية الموجات الراديوية موضع التطبيق العملي .

منح تسلا في العام ١٩٠٠ براءة اختراع في منظومـــة بـــث الطاقـــة الكهربائية، وبراءة اختراع ثانية لصنعه مرسل الاشارة الكهربائية. كلا الاختراعيين كانا نتيجة جهوده لسنين طويلة لبـــث واســـتلام اشـــارات الراديو .

التقط ماركوني الذي كان ينتظر عبر جهاز استلام لاسلكي في ســـانت جون – نيوفوندلاند Newfoundland في العام ١٩٠١، اول اشـــارة راديوية بثت من محطة ماركوني في كورنيول Cornwall بـــأنكلترا على مسافة ٢٠٠٠ ميل .

اخترع المهندس البريطاني فلمنك John Ambrose Fleming مقوم الراديو ذو القطبين في العام ١٩٠٤، الذي اطلق عليه اسم صمام الذبذبات. يستطيع الصمام تحري الموجات الراديوية أعتمادا على مصابيح اديسون.

اصبحت خدمة الهواتف ممكنة باستخدام اختراع فورست Lee De Forest عام ١٩٠٦ للصمام الثلاثي المضخم للاشارات. في العام ١٩٠٦ بث استاذ الهندسة فسندن Rginald Fessenden اول برنامج صوتي موسيقي من ماسيتوسش Massachusetts والتقطت في فرجينيا. وبتوسيع اختراع الامريكي فورست بوضع سلك ثالث او مشبك في الصمام المفرغ، صنع جهاز استلام حساس اطلق عليه اديون Audion. وفي تجاربه اللاحقة، قام بارجاع اخراج جهاز اديون الى المشبك، ووجد ان بامكان هذه الدائرة الاسترجاعية بث الاشارات.

صمم طالب الهندسة الكهربائية بجامعة كولومبيا الامريكية، ارمسترونغ Edwin Howard Armstrong في العام ١٩١٢ ، دائرة استرجاعية للصمام الثلاثي بامكانها تضخيم اشارات الراديو. يدفع التيار الى اعلى مستويات تضخيمه، اكتشف ارمسترونغ مفتاح استمرار بث الموجة الذي اصبح اساس تضمين السعة Amplitude Modulation المعروف اختصارا (AM).

نشب صراع قانوني بين فورست مخترع جهاز اديون وارمسترونغ الذي اعتمدت اعماله على هذا الجهاز حول احقية اختراع الدائرة الاسترجاعية ، حسمته المحاكم لصالح فورست، اما راي الاوساط العلمية فكان لصالح ارمسترونغ اذ عدته مخترع الدائرة الاسترجاعية.

اخترع ارمسترونغ دائرة سوبرهتروداين في العام ١٩١٧، التي ساعدت كثيرا على تحسين استلام الاشارات الراديوية.

انشئت اول محطة اذاعية تجارية في الولايات المتحدة الامريكية عــام ١٩٢٠ عرفت باسم اذاعة KADA في مدينة بتزبــرغ Pittsburg.

نجح المخترع الاسكتلندي بيرد John Logic Baird في العام ١٩٢٥ في بث اول صورة مميزة في احد المحلات التجارية بلندن عبر جهــاز اطلق عليه اسم تليفازور Televisor وهي منظومة ميكانيكية معتمدة على ماسحة قرص غزل طورت في عقد الثمانينيات من القرن التاســع عشر من العالم الالماني نيكو Paul Nipkow. تتطلب هذه المنظومة تزامن اقراص المرسل والمستقبل.تتألف الصور من ٣٠ خطا ترســل بمعدل ١٠ مرات في الثانية.

قام الامريكــي جنكيــز Charles F. Jenkins بتطــوير منظومــة التلفزيون اللاسلكية الميكانيكية بالبث من محطة اذاعة بحرية الى مكتبه بواشنطن. حصل جنكنز على اجازة لمحطة تلفزيونية تجريبية.

نجح الشاب فارنورث Philo T. Farnsworth (٢١ سنة) العامل الزراعي بولاية يوتا الامريكية وعبقري الالكترونيات بتصميم منظومة تلفزيونية الكترونية في العام ١٩٢٧ . وفي العام ١٩٢٨ تمكن بيرد من انتاج صورا ملونة عبر منظومته التلفازية. وفي العام ١٩٢٩ استعرض الروسي زوركن Vladimir Zworykin (المهاجر الـــى الولايــات المتحدة الامريكية عام ١٩١٩) ، آلته التصويرية التلفزيونية التي تصور الكترونيا.

توصل ارمسترونك في العام ١٩٣٣ الى طريقة التضـــمين التــرددي Frequency Modulation المعروفة اختصاراً FM كحــل لمشــكلة

التداخل الساكن الذي يعيق بث اشارة AM الراديوية لاسيما في فصل الصيف عندما تصبح العواصف الكهربائية عائقاً وليس مساعداً للموجات الراديوية . وفي العام ١٩٤٧ اخترع باردين John Bardeen وبراتين Watter Brattain وشوكلي William Shockley من مختبرات بيل الامريكية ، الترانزستر .

وفي عقد الخمسينيات من القرن العشرين طورت انبوبة الاشعة الكاثودية لتحسين المرقاب التلفازي .

شهد عام ١٩٥٤ اول بث تلفازي ملون عبر الولايات المتحدة الامريكية من شرقها الى غربها ، وشهد العام نفسه ولادة اول راديو ترانزستر يعمل بجهد بطارية ٢٢ فولت .

صنع كلبي Jack S-Kilby من شركة اجهزة تكساس ، ونويس Robert Noyce من شركة Fairchild Semiconductor ، في العام ١٩٥٨ اول دائرة كهربائية متكاملة ، كلاً على انفراد .

أطلقت وكالة ناسا الفضائية الامريكية في العام ١٩٦١ قمر الاتصالات تلستار Telstar .وقد بث هذا القمر اول اذاعة تلفازية مباشرة عبر المحيط الاطلسي ، فضلاً عن اشارات الهواتف والمعلومات الاخرى، بقي هذا القمر في مداره مدة سبعة اشهر لنقل الالعاب الرياضية والمؤتمرات والمعارض الدولية واخبار الرئاسة الامريكية .

شهد العالم زيادات مطردة في اعداد اجهزة التلفاز اذ قدر عددها في العام ١٩٩٦ اكثر من مليار جهاز . وصنعت شركة سوني اليابانية في العام ١٩٨٨ جهاز تلفاز ترانزستر يعمل بالبطارية . وبنهاية القرن

العشرين اصبح التلفاز الرقمي حقيقة قائمة ، ويوفر هذا التلفاز صوراً افضل وصوتاً اجود ، وبثا اسرع.

الهاتف

إخترع العالم بيل Alexander Graham Bell الهاتف عام ١٨٧٦ مؤشراً بدء عصر الكلام والمحادثة عبر المسافات ، وقد وسع المخترعون في السنين اللاحقة مديات الهاتف عبر القارات والمحيطات، اذ اصبح الهاتف جزءاً من مستلزمات الحياة العصرية التي لا يمكن الاستغناء منها ، لما لها من اثار بالغة بتسهيل المعاملات التجارية ، والتواصل بين الناس في مجالات الحياة المختلفة لاسيما بعد ان اصبح بالامكان التواصل دون مداخلة مشغلي قواسم الهواتف .

بقدر عدد مالكي الهواتف اللاسلكية في العام ٢٠٠٠ اكثر من مليار شخص . مرت تقانة الهاتف بمراحل مختلفة ، ففي العام ١٩٠٠ عانت الهواتف من مشاكل مختلفةابرزها تشوه الاشارة وضعف او فقدان اشارة القدرة عبر المسافات الطويلة . ولمعالجة هذه المشاكل والتخفيف من اثارها ، ادخلت ملفات التحميل Loading Coils او المحاثات Inductors في خطوط النقل وذلك بفضل جهود كامبل George Campbell (من شركة الهاتف والتلغراف الامريكية AT & T) ، وبابن Michael Pupin (من جامعة كولومبيا) ، كلاً على انفراد . إستخدمت ملفات التحميل تجارياً اول مرة في مدينة نيويورك ومدينة بوسطن ، وقد ضاعفت مسافة نقل خطوط الارسال . حصل بابن على

براءة الاختراع لهذه الانجاز عـام ١٩٠٤ ، التـي اشـترت حقـوق استعمالها شركة AT & T .

إخترع العالم البريطاني فلمنك الصمام الثنائي في العـام ١٩٠٤ الـذي اطلق عليه اسم صمام الذبذبات . يتحرى هذا الصمام الذبذبات الراديوية بصورة جيدة ، اصبحت خدمة الهاتف عبر القـارات ممكنـة بفضـل اختراع فورست للصمام الثلاثي عام ١٩٠٧ ، إذ اصبح ممكناً تضخيم الاشارات الالكترونية .

نجح بيل بتحقيق اول مكالمة هاتفية من نيويورك الى سان فرانسـكو عام ١٩١٥ عبر اطول خطوط هاتفية مؤلفة من ٢٥٠٠ طن مـن اسلاك النحاس ، و ١٣٠٠٠٠ عـامود ، وثلاثـة معيـدات انابيـب مفرغة،وعدد كبير جداً من ملفات التحميل . أدخلت شركة بيل في العام ١٩١٩ منظومات التحميل وهواتف اقراص التزويل . وفي العام ١٩٢٠ طورت شركة AT & T مفهوم تشعيب التردد ، الذي بموجبه تزحـف ترددات الكلام الكترونياً عبر حزم ترددية مختلفة ، لتسمح بذلك اجراء عدة مكالمات هاتفية في آن واحد .

استعمل القابلو المعدني المحوري لتحميل مدى واسع للترددات . وفـي العام ١٩٤٧ وبزيادة أعداد مستخدمي الهواتف ، طورت شركة AT & T وشركة بيل نظام ترقيم هواتف امريكا الشمالية ، بتخصيص ارقـام هواتف للزبائن في الولايات المتحدة الامريكية وكنـدا ودول البحـر الكاريبي . يتألف رقم الهاتف من عشرة ارقـام ، خصصـت الثلاثـة الأولى منها للمنطقة المطلوب الاتصال بها ، والثلاثة الثانيـة لاقـرب مركز مقسم هواتف ، والاربعة الاخيرة رقم الخط .

نشر العالم شانون عام ١٩٤٨ بحثه الشهير الموسوم : نظرية رياضية للاتصـــــالات ، التي شكلت اساس نظرية المعلومات . وفـــي العـــام ١٩٤٩ صنعت شركة AT & T اول هاتف يجمع بين الجرس ومقـــود اليد .

اصبحت خدمة الاتصالات المباشرة لمسافات طويلة في العـــام ١٩٥١ متاحة في ولاية نيوجرسي الامريكية ، وبعـــدها متاحـــة فـــي عمـــوم الولايات الامريكية في العقد اللاحق. وفي العام ١٩٥٦ اصبحت الخدمة الهاتفية متاحة بين الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا ، وبعدها لدول أوربا الغربية .

صنعت شركة الينويس بيل في العام ١٩٦٢ اول منظومة اتصـــالات رقمية تجارية . كما اطلقت وكالة ناسا في العام نفسه قمر الاتصـــالات تلستار ١ . وفـــــي العام ١٩٧٣ صنع كوبـــر Martin Cooper (من شركة موتورولا) اول هاتف محمول ، وقد منح براءة اختـــراع لهـــذا الانجاز عام ١٩٧٥ .

بدأت المؤسسات العسكرية الامريكية استخدام الالياف البصرية لتحسين منظومات الاتصالات عام ١٩٧٥ . وقد استخدمت هذه الالياف تجارياً عام ١٩٧٧ في منظومة الهواتف في شيكاغو وبوسطن . وفي الاعوام ١٩٨٨ و ١٩٨٩ اصبحت الالياف البصرية تنتقل المكالمـــات الهاتفيـــة عبر المحيطين الاطلسي والهادي .

وفي العام ١٩٧٨ بدأ الاستخدام التجريبي للهواتف الخلوية في مدينـــة شيكاغو من الناس بأكثر من ٢٠٠٠ هاتف .وفي العام ١٩٨٢ اعتمدت خدمة الهواتف الخلوية رسمياً في الولايات المتحدة الامريكية . وبنهاية عقد الثمانينات من القرن العشـــرين اصـــبحت هـــذه الخدمـــة شـــائعة

الاستعمال في الولايات المتحدة الامريكيـــة . وفـــي منتصـــف عقـــد التسعينيات اصبح بالامكان اجراء المكالمـــات الهاتفيـــة عبـــر شـــبكة الانترنت بواسطة بروتوكولات (VOIP) .

الادوات المنزلية

يعود الفضل بصنع الأدوات المنزلية التي لا يخلو منها أي بيت من البيوت بشكل أو بآخر ، إلى القدرة الكهربائية. قاد اختراعين هندسيين هما المقاومة الساخنة والمحركات الصغيرة الكفوءة ، إلى الأفران والآت التنظيف والمكواة ومكائن الغسيل والتجفيف وغيرها.

وفي النصف الثاني من القرن العشرين أدى تطور التقانات الألكترونية إلى صنع ادوات منزلية تعمل بتوقيتات معينة ، يمكن برمجتها لتخفيف أعباء مستخدميها ، فضلاً عن امكانية تشغيلها بدون مراقب.

إخترع المهندس المدني البريطاني H. Cecil Booth في العام ١٩٠١ مكنسة التنظيف، وإخترع الأمريكي رجاردسن Earl Richardsan في العام ١٩٠٣ المكواة الكهربائية الخفيفة الوزن ، اصبحت في العام ١٩٠٥ مكوأة رجاردسن علامة تجارية مميزة.

اخترع المهندس الامريكي مارش Albert Marsh في العام ١٩٠٥ سبيكة من النيكل والكروم، يمكن استعمالها لتسخين الشعلة الكهربائية بسرعة وبدون احتراق، وقد فتح هذا الأختراع الطريق بعد اربع سنوات لصنع المحمصة الكهربائية.

اخترع الامريكي سبانكلر James Spangler (الذي كان بواباً في احد مخازن اوهايو ومصابا بمرض الربو) في العام ١٩٠٧، مكنسة

التنظيف الكهربائية الماصة . وبعد عام باع سبانكلر حقوق اختراعه الى احد اقاربه المدعو هوفر Hoover الذي استطاع تطوير المكنسة كثيراً لتصبح أكثر عملية في الاستخدام.

اخترع الامريكي شيلر Frank Shailor من شركة General Electric في العام ١٩٠٩أول محمصة Toaster كهربائية تجارية. وفي العام ١٩١٣ انتج الاخوين ويكلر Walker Brothers من ولاية فيلادلفيا الامريكية اول ماكنة غسيل للاواني والصحون المنزلية. وقد انزلت هذه الماكنة الى الاسواق من شركة Hotpoint وغيرها عام ١٩٣٠. وفي العام نفسه اخترع ولف Fred W. Wolf من ولاية انديانا الامريكية اول ثلاجة منزلية.

انتجت شركة سلكس Silex في العام ١٩٢٧ اول مكـواة كهربائيـة بمنظم حراري. صنع مايرز Joseph Myers المنظم الحراري مـن النحاس الخالص. وفي العام ١٩٢٧ صنع هامس John W. Hammes اول ماكنة نفايات. وفي عقد الثلاثينيات من القرن المنصـرم اختـرع جامبرلن John W. Chamberlain ماكنة غسيل متطورة يمكنها غسل الملابس وتنشيفها في عملية واحدة. صنع مور J. Ross Moore فـي العام ١٩٣٥ ،أول ماكنة تجفيـف للملابـس فـي الولايـات المتحـدة الامريكية. وفي العام ١٩٤٥ تم التوصل الى اختراع فرن المايكرويف، واخترع ماكنة الغسيل التلقائية عام ١٩٤٧ ، والفرن الذي ينظف نفسه تلقائياً عام ١٩٦٣ ، وماكنة الخياطة الكهربائية عام ١٩٧٨.

واستمرت الجهود لتحسين اداء الادوات المنزلية بحيث تم صنع ادوات صديقة للبيئة وغير مستهلكة للطاقة أو المياه كثيراً ، وذلك بتزويد هذه الادوات بمجسات بدلاً من اجهزة ضبط الوقت. واصبحت هذه الاجهزة

والادوات متوفرة في الاسواق منذ عقد التسعينيات من القرن المنصرم. وفي العام ١٩٩٧ عرضت شركة الكترولكس Electrolux السـويدية أول نموذج لمكنسة روبوتية.

الخاتمة

شهد القرن العشرين ظهور تقانات ذات منـافع للبشـرية لا تعـد ولا تحصى في مجالات الطب والصحة العامة والبيئة وزيـادة المنتجـات الزراعية كما ونوعاً ، وتحسين نوعية الحياة البشرية، فقد شـهد هـذا القرن ولادة الحاسوب والإنترنت والترانزسترات وشبكات المعلومات والاتصالات والليزر والطاقات الجديدة والمتجـددة والنـانوتكنولوجي والاقمار الاصطناعية وغيرها ، مما يتوقع ان يكون لها الاثر الفاعـل بتغيير مناحي الحياة المختلفة .سلطت هذه الدراسة الضوء على ابـرز انجازات التقانات الألكترونية منذ مطلع القرن العشرين حتى يومنا هذا، وتأشير انعكاساتها في حياتنا المعاصرة.

المراجع العربية

١..جريو، داخل حسن
الهندسة والتقانة وافاق المستقبل.
منشورات المجمع العلمي، ٢٠٠٤.

٢. جريو، داخل حسن
تطور التقانة عبر العصور
منشورات المجمع العلمي، ٢٠٠٦.

المراجع الأجنبية

١. History of Technology.
Encyclopaedia Britannica (www.britanica.com).

٢. History of Technology
Wikipedia, the free encyclopedi

3 .www.greatachievements.org

4.National Academy of Engineering
U.S.A. 2006 .

في المنهج النقـدي
ـ الحلقة الثالثة ـ

الدكتور احمد مطلوب

عضو المجمع العلمي ـ بغداد

الملخص

هذا بحث عرض لمنهج آمنت به بعد الطواف في المناهج النقدية الحديثة ، وطبقته على همزية احمد شوقي النبوية ، وقصيدة رثاء مصطفى كامل . وفي هذا الجزء سيكون تطبيق المنهج على أندلسية شوقي التي نظمها في المنفى . وسيكون التعرض للوحاتها ولغتها وأسلوبها وصورها وتأثرها بنونية ابن زيدون وغيرها من التراث ، وهو تأثر غير واضح ، لأن احمد شوقي جاوز نهج المعارضات في كثير من معارضاته .

(١)

لا يعرف ألم الغربة إلا مَنْ يعانيها ، كما لا يعرف الشوق إلا مَنْ يكابده ، وكانت الغربة أليمة على الشاعر احمد شوقي (١٨٦٩م ـ ١٩٣٢) حين نفي إلى أسبانية عندما قامت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م ، وأعلنت انكلترة حمايتها على مصر ، ومُنع عباس خديوي مصر من العودة إلى وطنه ، وابعدت مَنْ كان له صلة به ، وتولى حكم مصر السلطان حسين كامل ، وحاول شوقي ان يتقرب اليه ، فنظم قصيدة ((السلطان حسين كامل))[١] :

المُلْكُ فيكم آلَ إسماعيلا   لا زال بيتكمُ يظل النيلا

وفيها قال :

---

[١] تنظر القصيدة في الشوقيات ج١ ص ٢١٤ .

أأخون إسماعيلَ في أبنائه ولقد ولدتُ ببابِ إسماعيلا

ثم قال :

وانفضَّ ملعبه وشاهده على أَنَّ الرواية لم تتمّ فصولا

قال الدكتور شوقي ضيف : ((وفيها تظهر نفسيته المضطربة ، فبينما يحاول أن يُرضي حينا نراه يقول : (إِنّ الرواية لم تتم فصولا) مشيرا إلى أن الإنجليز لا يزالون يبيتون شرا بالأسرة العلوية ، وثاروا لهذا النذير ، وأوجسوا خشية من تأثير شعره في نفوس المصريين فأمروا بنفيه من البلاد ، واختار الأندلس مقاما له))[٢]

ركب الشاعر الباخرة من بور سعيد ، ووصل إلى برشلونة ، واستقر فيها ، غير انه كان يتألم مما آلت اليه حياته ، فهناك الغربة القاسية ، والحنين إلى الوطن ، والشكوى من ضيق الموارد لقلة ما كان يصل اليه من مال .

كان يسكن في ضاحية من ضواحي برشلونة ، وكان يسمع صوت البواخر فيتألم ويقول :

مُسْتطارٌ إذا البواخرُ رنَّتْ أوّلَ الليل أو عَوَتْ بعد جَرْسِ

ووضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حين أعلنت الهدنة سنة ١٩١٨م ، وسمح للشاعر أن يتجول في الأندلس ، فزار طليطلة وقرطبة وإشبيلية وغرناطة ، قال : ((لما وضعت الحرب الشؤمى أوزارها ، وفضحها الله بين خلقه ، وهتك إزارها ، ورمَّم لهم ربوع السلم ، وجدد مزارها ، أصبحت وإذا العوادي مقصرة ، والدواعي غير مقصّرة ، وإذا الشوق إلى الأندلس أغلب ، والنفس بحق زيارته أطلب ، فقصدته من

---

[٢] شوقي شاعر العصر الحديث ص ٣١ .

برشلونة))[٣] . وطاف في الأندلس ، وكان البحتري رفيقه ، وكانت قصيدته السينية [٤] :

صُنْتُ نفسي عما يدنس نفسي   وترفَّعْتُ عن جَدا كل جبسِ

تجول في ذهن شوقي وترنّ موسيقاها في أذنيه ، وكان كلما وقف بحجر أو طاف بأثر تمثل أبيات القصيدة ، وجعل يروض القول على رويها ، ويعالجه على وزنها حتى نظم قصيدة ((الرحلة إلى الأندلس))[٥] التي بثّ فيها عواطفه ، واعتزازه بالأندلس ، وحبه لمصر والحنين إليها :

إختلافُ النهارِ والليلِ يُنسي   اذكرا لي الصِّبا وأيامَ أُنسي

وسلا مِصْرَ هل سلا القلْبُ عنها   أو أسا جرحه الزمانُ المؤسي

ونفث الآهة الحرَّى ، وصوَّر حاله منفيا ، وآلمه ان ينعم الغرباء بوطنه:

أحرامٌ على بلابله الدَّوْ   حُ ، حلالٌ للطير من كل جنسِ

وطني لو شُغلتُ بالخلْد عنه   نازعتني اليه في الخلْد نفسي

شَهدَ الله لم يغبْ عن جفوني   شخصهُ ساعةً ولم يخْل حسّي

وعاد الى مصرَ بعد خمس سنوات ، ونظم قصيدة ((بعد المنفى))[٦] وفيها بث حبه لوطنه :

ويا وطني لقيتك بَعْدَ يأْسٍ   كأني قد لقيتُ بك الشبابا

وكلُّ مسافرٍ سيؤوبُ يوماً   إذا رُزِقَ السلامةَ والإيابا

(٢)

هذا ما كان عليه في منفاه وبعد عودته إلى وطنه ، وقد كان للمنفى أثر في شاعريته إذ عكف على التراث الأندلسي وتمثله ، وأعجب بشعر ابن

---

(٣) الشوقيات ج٢ ص ٥٢ .

(٤) ينظر ديوان البحتري ج١ ص١٩٠ ، وفي الشوقيات ج٢ ص ٥٣ : عن ندى .

(٥) تنظر القصيدة في الشوقيات ج٢ ص ٥٢

(٦) تنظر القصيدة في الشوقيات ج١ ص ٥٤،وانشدت في دار الأوبرا سنة ١٩٢٠م .

زيدون ، وكانت فرحته عظيمة حين ظهر ديوانه مطبوعا أول مرة بمصر سنة ١٣٥١هـ ــ ١٩٣٢م بعناية كامل كيلاني ، ونظم قصيدة ((ابن زيدون))[٧] :

يا ابنَ زيدون مَرْحبا　　قد أطلْتَ التغيبا
إنَّ ديوانك الذي　　ظلَّ سرا مُحجبا
يشتكي اليتم دُرُّه　　ويُقاسي التغربا
صار في كل بلدةً　　للأدباءِ مطلبا

وخاطب ابن زيدون :

أنت في القول كله　　أجملُ الناس مذهبا
بأبي أنت هيكلا　　من فنون مركبا
شاعرا أمْ مصورا　　كنت أم كنت مطربا
أحسن الناس هاتفا　　بالغواني مشببا

ومن ولعه بابن زيدون وشعره جاراه في قصيدته[٨] :

ودَّعَ الصَّبْرَ محبٌّ ودَّعكْ　　ذائعٌ من سِرّه ما استودعكْ

ونظم على وزنها ورويها قصيدة حيًا بها ليلى لزمي[٩] :

رُدَّت الروحُ على المضنى معكْ　　أحسنُ الأيام يومٌ أرجعكْ

وعارض نونيته[١٠] :

أضحى التنائي بديلا من تدانينا　　وناب عن طيب لقيانا تجافينا

بقصيدته[١١] :

يا نائح الطلْحِ أشباهٌ عوادينا　　نَشْجَى لواديك أم نأْسَى لوادينا

---

[٧] تنظر القصيدة في الشوقيات ج٤ ص ٧٨ .

[٨] تنظر القصيدة في ديوان ابن زيدون ص١٦٧ ،قلائد العقيان القسم الثاني ص٢٢١

[٩] تنظر القصيدة في الشوقيات المجهولة ج٢ ص١٤٤ ، والشوقيات ج٢ ص ١٦٢

[١٠]تنظر القصيدة في ديوان ابن زيدون ص١٤١ وقلائد العقيان القسم الثاني ٢٤٥.

[١١] تنظر القصيدة في الشوقيات ج٢ ص ١٢٧ .

وكان شوقي قد أرسلَ من منفاه الى رئيس تحرير (الأهرام) ببيتين ، وطلب منه عرضهما على الشاعر إسماعيل صبري ليبدي رأيه فيهما فعرضهما عليه ، والبيتان هما :

يا ساريَ البرق يرمي من جوانحنا   بعد الهدوءِ ويهمي عن مآقينا
ترقرق الماءَ في دمع السماء وما   غاضَ الأسى فخضبنا الأرض باكينا

وجادت قريحة إسماعيل صبري بأبيات في المعنى نفسه ، وهي[١٢] :

يا وامضَ البرق كم نبّهتَ من شَجَنٍ   في أضلع ذهلت عن دائها حينا
فالماءُ في مُقَلٍ ، والنار في مُهَجٍ   قد حار بينهما أمرُ المحبينا
لولا تذكر أيامٍ لنا سلفتْ   ما بات يبكي دما في الحي باكينا
يا آل ودتي عودوا لاعدمتكم   وشاهدوا ويحكم فِعلَ النوى فينا
يا نسمةً ضمخت أذيالَها سحرا   أزهارُ أندلس هُبي بوادينا

وأضافت مجلة (الزهراء) ثلاثة أبيات الى هذه المقطوعة وهي :

بأفق أندلس بَرْقَ يحيينا   يَبيتُ يضحكُ منا وهو يُبكينا
فهل تبينت في أطلال قرطبةٍ   في دار ولادةٍ دَمْعَ ابن زيدونا
ألقوا خطيآتهم في حجر هيكلهم   واستعيروا ثم عادوا غير خاطينا

قال الدكتور محمد صبري إنَّ هذه الأبيات غير مذكورة في ديوان صبري ، ولكن ((فيها أنفاس صبري وحنينه ولاعجه))[١٣] .

(٣)

نظم شوقي نونيته في منفاه بالأندلس ، وفيها حَنَّ إلى وطنه مصر ، ووصف كثيرا من مشاهده ومعاهده ، وهي في ثلاثة وثمانين بيتا من البحر البسيط ، والبسيط مزدوج التفعيلة :

---

[١٢] الشوقيات المجهولة ج٢ ص ١٦٦ .

[١٣] الشوقيات المجهولة ج٢ ص ١٦٨ .

مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ   مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ مُسْتَفْعِلُنْ فاعِلُنْ

هذا هو الأساس ، وقد تحدث فيه بعض التغيرات التي تخفف من إيقاعه ، وتقطيع مطلع القصيدة :

يا نائحل / طلحأش/ باهن عوا/ دينا/ نشجن لوا/ ديك أم/ نأس لوا/ دينا
مُسْتَفْعِلُنْ / فاعِلُنْ/ مُسْتَفْعِلُنْ / فَعْلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ /فاعِلُنْ / مُسْتَفْعِلُنْ / فَعْلُنْ

وقع في العروضة والضرب قطع فأصبحت (فاعلن) : (فَعْلُنْ) ، وبقيت عروضة الأشطر الأولى في أبيات القصيدة (فَعِلُنْ) بخلاف عروضة المطلع لوجود حرف اللين قبل الروي .

والبحر البسيط عند حازم القرطاجني من أعلى البحور درجة[١٤] ، وعند الدكتور عبد الله الطيب من بحور الأبهة والجلالة[١٥] وقال محمد الهادي الطرابلسي إن أكثر أشعار شوقي على البسيط غزلية واجتماعية لما فيه من مرونة خاصة تتلاءم مع مختلف الأغراض[١٦] .

(٤)

تبدأ القصيدة بمخاطبة طائر الطلح[١٧] لاشتراكهما في الألم ، وشوقي لا يدري أيشجى لوادي الطير أم يأسى لواديه وهو مصر التي نفي منها وظلت الحسرات في قلبه لأنه كان يشعر باليأس من العودة الى الوطن ، ولكن ماذا يقص الطائر واليد التي قصّت جناحيه جالت في حواشي الشاعر ، ورمى بهما البين أيكا غير سامرهما ، ورمتهما النوى بالفراق ، وأُصيب الطائر بالغربة كغربة الشاعر ، وجمعتهما المصائب . وهذا الطائر حائر لا يدري ما يفعل ، وليس لديه الا التنقل

---

[١٤] منهاج البلغاء ص ١٤

[١٥] المرشد الى فهم أشعار العرب وصناعتها ج١ ص ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ .

[١٦] خصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٢٢ ــ ٢٣ .

[١٧] الطلح : واد بظاهر اشبيلية .

من غصن الى غصن لعله يجد سلوى كما كان الشاعر يتنقل في الأندلس لعله يجد الراحة والعزاء ، ولكن أين مَنْ يأسو ويداوي جراح القلب ؟

يا نائحَ الطلْح أشباهٌ عوادينــا نَشْجَى لواديك أم نأسَى لوادينـــا
ماذا تَقُصّ علينا غير أن يــدا قَصَّتْ جناحك جالَتْ في حواشينا
رمى بنا البينُ أيكا غيرَ سامرنا أخا الغريب وظلا غير نادينـــا
كلٌّ رمته النوى ريش الفراقُ لنا سَهْماً وسلَّ عليك البين سكينـــا
إذا دعا الشوق لم يبرح بمنصدِعٍ من الجناحين عيّ لا يُلبينـــا
فانْ يَكُ الجنسُ يا بن الطلْح فرقنا إنَّ المصائبَ يجمعْنَ المصابينــا
لم تألُ مـــاءَك تَحنانا ولا ظمــأً ولا ادكارا ولا شَجْوا أفانينـــا
تجر مـــن فَنَنٍ ساقــا إلى فَنَــنٍ وتسحبُ الذيلَ ترتادُ المؤاسينــا
أُساةُ جسمك شتى حين تطلبهــم فَمَنْ لروحكِ بالنُّطى المداوينـــا

وانتقل الشاعر الى بكاء الأندلس والحنين إلى مصر :

آها لنا نازِحَي أيكٍ باندلــسٍ وإنْ حَلَلْنا رَفيقا من روابينـــا
رَسْمٌ وقفنا على رسْمِ الوفاء له نجيشُ بالدمع والإجلال يَثنينــا
لفتيةٍ لا تنالُ الأرضَ أدْمُعُهمْ ولا مفارقهَم إلا مُصليتـــــا
ولم يسودوا بدينٍ فيه منبهــةٌ للناس كانت لهم أخلاقهم دينــا
لم نَسْرِ من حَرَمٍ إلا الى حَرَمٍ كالخمر من بابلٍ سارتْ لدارينا
لما نبا الخلْدُ نابت عنه نسخته تُماثلَ الوردِ خيريا ونَسرينـــا
نسقي ثراهم ثناءً كلما نُثرت دموعُنا نُظمتْ منها مراثينـــا
كانت عيونُ قــوافينا تحركه وكِدْنَ يُوقِظن في الترب السلاطينا

هذهِ هي أندلس العرب التي ظلت تثير الذكريات ، ويقف الشاعر أمامها بإجلال ، وهنا تعود الذكرى به الى وطنه الــذي فارقـــه علـــى كـــره ومضض :

لكنَّ مصر وإنْ أغضتْ على مِقَةٍ   عينٌ من الخلْد بالكافور تسقينا
على جوانبهـــا رَفَّـــتْ تمائمنـــا   وحول حافاتها قامَتْ رواقينـــا
ملاعِبٌ مَرِحَتْ فيها مآربنـــــا   وأَرْبُعٌ أَنِسَتْ فيهـــا أمانينـــــا
ومطلعٌ لعودٍ من اواخرنـــــا   ومَقْرب لجدودٍ من اوالينـــــا
بنّا فلم تَخْلُ من روَح يراوحنا   من برِّ مصرَ وريحانٍ يغُادينا
كأم موسى على اسم الله تكلفنا   وباسمه ذهبتْ في اليم تُلقينـــا
ومصرُ كالكَرْمِ ذي الاحسان : فاكهةٌ
لحاضرين ، وأكوابٌ لبادينـــــا

وخاطب ساري البرق :

ياساريَ البرْق يرمي عن جوانحنا   بعد الهدوءِ ويَهْمي عن مآقينـــا
لما ترقرق في دمعِ السماء دمـــا   هاجَ البكا فخضبنا الأرض باكينا
الليلُ يشهد لم تَهْتك دياجيـــــه   على نيام ولم تهتف بسالينـــــا
والنجـــم لم يَرنا إلا علـــى قَدمٍ   قيام ليل الهوى للعهد راعدنـــا
كزفرةٍ في سماءِ النيل حائـــرةٍ   مما نردّدُ فيه حين يُضوينـــــا

وطلب من ساري البرق حين يجوب ظلماء العبـــاب وتحتويـــه ســـماء النيل ،أَن يحمل الى مصر تحيته ويؤاسي المنـــازل الذاويـــة والمغـــاني الضاوية :

باللهِ إنْ جُبْتَ ظَلماءَ العُباب على   نجائب النور محدوّا (بجرينا)
تَرد عنك يـــداه كـــلَّ عاديـــــةٍ   إِنْسا يَعِثْنَ فسادا أَو شياطينـــــا
حتى حوَتْكَ سماءُ النيل عاليـــةً   على الغُيوث وإِن كانت ميامينا
وأحْرَزَتْكَ شُغوفُ اللازوردِ على   وَشْيِ الزبرجد من أَفوافِ وادينا
وحازَك الريفُ أرجاءً مؤرجـــةً   رَبَتْ خمائِلَ واهتـــزتْ بساتينا

ماذا يريد منه ؟

فقفْ الى النيلِ واهتفْ في خمائِلِه   وانزلْ كما نَزَل الطَلُّ الرياحينا

وآسٍ ما باتَ يَذْوَى من منازلنـــا بالحادثاتِ ويَضْوَى من مغانينا

وخاطب نسمةَ الوادي المعطرة التي سَرَتْ سَحَرا ذكية الليل وقــد أتــت ((بالورد كتبا وبالريّا عناوينا)) ، وكان فضلها عظيما لن يقدر الشاعر على مجازاتها مهما عمل من أجلها ، وجازاها بالروح :

ويا مُعَطَّرةَ الوادي سَرَتْ سَحَرا فطاتِ كلُّ طَروح مــن مَرامينـــا

ذكية الذيل لوخِلْنا غلالتهـــــا قميصَ يوسُفَ لم نُحسَبْ مُغاليـــا

جَشِمْتِ شوك السُّرى حتى أتيت لنا بالورد كتبا وبالريا عناوينــــا

فلــو جزيناك بالأرواح غاليــةَ عن طيب مَسْراكِ لم تنهض جوازينا

وأراد أن يحملها الشوق إلى أحبابه الذين زاد شوقه إليهم :

هل مــن ذيولــك مِسْكــيٌّ نُحمِّلُهُ غرائبَ الشوق وَشْيا من أَمانينـــا

الى الذين وَجَدْنا وُدَّ غيرهم دُنيا وودهُمُ الصافي هو الدينــــا

وظل يبث أَشواقه وحنينه الى وطنه ، وقد حــاول ان يــصبر ، ولكــن الصبر نأى عنه ، ووصف الليل بالنابغي لطوله وهو يطوي دجاه بجرح من فراق الأحبة والوطن ، وعيناه لا يرقأ الدمع فيهما ، وهو يقاسي بطء الكواكب التي كانت حسرى تقاسيه . وتظل الآلام تنغــر فــي صــدره والأشجان لا تهدأ نهارا إلا بالتجلد والتأسي بخلاف الذين تهدأ أشــجانهم بالانصراف الى الأعمال :

يا مَنْ نغارُ عليهم من ضمائرنا ومنْ مَصون هواهم في تناجينا

نابَ الحنينُ إليكم في خواطرنا عن الدلالِ عليكُم في أمانينـــا

جئنا الى الصبر ندعوه كعادتنا في النائباتِ فلم يأخذ بأيدينــا

وما غُلبنا على دَمْعٍ ولا جَلَدٍ حتى أتتنا نواكم من صَياصينـــا

ونابغيّ كأنَّ الحشر آخــره تُميتنا فيه ذكراكــم وتُحيينـــا

نطوي دُجاه بجرح من فراقكمُ يكاد في غَلَسِ الأَسحار يطوينـــا

إذا رسا النجمُ لم ترقأ محاجرنا حتى يزولَ ولم تهدأ تراقينـــا

بتنا نُقاسي الدواهي من كواكبه حتى قَعَدْنَ بها حَسْرى تُقاسينـــا

يبدو النهارُ فيخفيه تجلُّدنـــا للشامتينَ ويأســـوه تأسينـــا

ودعا لعهده السالف بالسقيا على نهج القدماء بالدعاء ، وأخذته الذكريات الى وطنه الحبيب حيث الزمان مساعف ، والحياة هانئة ، ومضى يصف مصر وصفا جميلا ويضفي عليها صفاء الحياة حيث الشمس تختـال ، والنيل يقبل فيملأ الأرض خيرا ويردها ذهبا بعد ان كانت تشكو الظمـأ والجفاف :

سَقْيا لعهدٍ كأكنافِ الربى رِفَةً أَنَّا ذهبنـا وأعطافِ الصَّبا لينـا

إذِ الزمانُ بنا غيناءُ زاهيـةٌ تَرِفَ أوقاتُنـا فيها رَياحينـا

الوصلُ صافيةٌ والعيشُ ناغيةٌ والسَعْدُ حاشيةٌ والدهـر ماشينا

والشمس تختال في العِقْيـان تحسبها بلقيسَ تَرْفُلُ في وشي اليمانينـا

والنيلُ يُقبل كالدنيا إذا احتفلت لو كان فيها وفـاءٌ للمصافينـا

والسَّعدُ لو دام والنعمى لو اطردت والسيلُ لو عفَّ والمقدارُ لو ادينـا

أَلقى على الأرضِ حتى رَدَها ذَهبا ماءَ لَمسنا به الاكسيرَ أو طينـا

أعداه من يُمنه التابوتُ وارتسمت على جوانبه الأنوارُ من سينـا

له مبالغُ ما في الخُلْق من كـرمٍ عهدُ الكرام وميثاقُ الوفيينـا

وأخذ يفخر بنفسه وبأمجاد وطنه :

لم يَجْرِ للدهرِ إعذار ولا عُـرُسٌ إلا بأيامنـا أو في ليالينـا

وَى السَعدُ أطغى في أعنَّته منا جيادا ولا أرخى ميادينـا

نحن اليواقيتُ خاضَ النارَ جوهرنا ولم يُهَنْ بيد التشتيت غالينـا

ولا يحولُ لنا صِبْـغٌ ولا خُلُـقٌ إذا تلوَّن كالحِربـاء شانينـا

لم تنزل الشمسُ ميزانا ولا صَعَدتْ في مُلكها الضخم عرشا مثلَ وادينا

أَلمْ تؤلَّهْ على حافاتـه ورأتْ عليه أبناءها الغُرَّ الميامينـا

إنْ غازلتْ شاطئيه في الضحى لبسا خمائلَ السُّندس الموشية الغينا

وبات كل مُجاجِ الوادِ من شَجَرٍ لوافظَ القَزَّ بالخيطــــان تَرْمينــا

وهذه الأرضُ من سَهْل ومن جبَلٍ قَبْلَ القياصر دنَّاها فراعينــــا

ولمْ يَضَع حجرا بانٍ على حَجَــرٍ في الأَرض إلا على آثار بانينا

ورسم للأهرام صورة جلية ، وهي تتحدى الــزمن بقوتهــا وتتــصدى عواديه :

كأَنَّ أهرامَ مصْرِ حائطٌ نَهَضَتْ به يدُ الدهر لا بنيــانُ فانينــا

إيوانهُ الضخْمُ من عُليا مقاصرهِ يُغني الملوكَ ولا يُبقي الأَواوينا

كأنها ورمالا حولها التطمــــتْ سفينةٌ غَرِقَتْ إلا أساطينــــــا

كأنها تحت لألاءِ الضحى ذَهَبــا كنوزُ فرعونَ غطينَ الموازينا

وظلت مصر في خاطره بؤرقه حبها ويتمنى ان يركــب الجــو والبــر والبحر ليصل اليها وقد هزّه الشوق وهو في منفاه :

أَرْضُ الأُبوة والميــلاد طَيِّبهــا مَرُّ الصبًا في ذيول من تَصابينا

كانت مُحَجَّلَةٌ فيهــا مواقفُنــــا غُــرّا مُسَلْسَلَةٌ المجرى قوافينــا

فآب من كرة الأيــام لاعِبُنــــا وثابَ عن سنَة الأَحلام لاهينــا

ولــم نَدَعْ لليالي صافيا فدعــتْ ((بأن نَغَصَّ فقالَ الدهرُ آمينا))

لو استطعنا لخضنا الجوَّ صاعقة والبرَّ نارَ وَغى والبْحرَ غسلينــا

سَعْيا الى مصر نَقْضي حقَّ ذاكرنا فيها إذا نَسِيَ الوافي وباكينـــــا

وختم القصيدة بثلاثة أَبيات ذَكر فيها أمه :

كَنْزٌ بحلوانَ عند اللَّهِ نطلبــهُ خَيْرَ الودائعِ من خير المُؤدّينــا

لو غابَ كلُّ عزيز عنه غيبتنا لم يَأْتِه الشوقُ إلا من نواحينــا

إِذا احَمَلْنا لمصرٍ أَولَه شَجَنــا لم نَدْرِ أيَّ هوى الأُمين شاجينا

قال الدكتور زكي مبارك : ((وهي أبيات ما قرأتها إلا بكيت على أمي ــ يرحمها الله ــ وانظروا كيف هفا قلب الشاعر الى أمه في حلزان))[١٨]

هذه لوحات نونينة شوقي وهي سَبْعٌ انتقل فيها من معنى الى معنى ، وكان الدكتور زكي مبارك قد وازن بينها وبين نونية ابن زيدون التي قال عنها انها في غرض واحد في حين ان نونينة شوقي مختلفة الأغراض .[١٩] وقال الدكتور شوقي ضيف : ((إن نونينة ابن زيدون كلها لوعة وحرقة وشكوى من البين والأعداء والزمن ، ومعاتبا ولادة في تضاعيف ذلك واثنائه ، اما شوقي فاستهل قصيدته بمناجاة طائر حزين يُرْسِلُ شجوه بوادي الطلح في ضاحية اشبيلية ، وكأنه يُعبّر عن حزنه ولوعته ، واسترسل في مناجاته ، ثم عطف على أحزانه وفراقه لوطنه ، ونظر الى رسوم الحضارة العربية في الأندلس ، ثم تذكر بلده وملاعبه فيه ... ووقف يُعَبر عن حنينه وشوقه لوطنه ، وكأنما اكتحلت عيناه حين جرى على لسانه بنوره ، فذهب يُشيد بأمجاده ، ويتغنى بأهرامه وبأرض أبوته وميلاده)) .[٢٠]

وقصيدة شوقي ليست مختلفة الاغراض ، وانما هي في غرض واحد يتمثل في لوعة الغربة وحب الوطن ، وهذا لا يبعد عن قصيدة ابن زيدون التي كانت شكوى من اللوعة وحنينا الى ولادة بنت المستكفي ، أي أن الوطن عند شوقي هو الحبيبة التي حن اليها وبثها شكواه ، وان ولادة عند ابن زيدون هي الحبيبة التي اشتاق اليها وبثها شكواه .

---

(١٨) الموازنة بين الشعراء ص ٣٩٠

(١٩) الموازنة بين الشعراء ص ٣٦٣ .

(٢٠) شوقي شاعر العصر الحديث ص ٧٤ .

لقد ذاق كلا الشاعرين الألم وشكا كل منهما الفراق ، وكان ابن زيدون يشتاق الى حبيبته أينما سار :[٢١]

إني ذكرتكِ بالزهراء مُشْتاقا   والأُفْقُ طَلْقٌ ووجْهُ الأَرض قد راقا

وكان شوقي يشتاق الى وطنه أينما ذهب :[٢٢]

شَهِدَ اللَّهُ لم يَغِبْ عن جفوني   شَخْصَهُ ساعةً ولم يَخْلُ حِسِّي

ويبحث عمن يواسيه كالطائر الذي كان يتنقل من غصن الى غصن يبحث عن المؤاسين ولكن هيهات :

أُساةُ جسمك شَتَّى حين تطلبهم   فَمَنْ لروحك بالنُّطسِ المداوينا

فالوطن عند شوقي هو المعادل الموضوعي عند ابن زيدون صاحب ولادة ، ولا يبعد انتقال شوقي من لوحة الى لوحة عن انتقال ابن زيدون ، فقد خاطب نائح الطلح وشكا من الغربة وفراق الوطن ، ودعا لعهده في مصر بالسقيا حيث كان يعيش في رفاهية ورخاء ، وهفا الى مصر ووَدَّ لو استطاع أَنْ يسعى اليها بكل وسيلة ، وقريب من هذا ما صوَّره ابنُ زيدون فقد شكا ألم الفراق وحنَّ الى ولادة ، وبثها أشواقه وحبه ، وتحسر على العهد الذي نعما فيه حيث ((الأفق طلق)) والحياة نعيم ، ولم يذهب حبه لولادة ، كما لم يذهب حب شوقي لوطنه :[٢٣]

أما هواك فلم نَعْدِلْ بمنهلـــه   شِرْبا وإنْ كان يَروينا فيظمينا

لم نَجْفُ أُفْقَ جمالٍ أنت كوكبه   سالين عنه ولم نهجره قالينا

ولا اختيارا تجنبناه عن كثبٍ   لكنْ عَدَتْنا على كُرْهٍ عَوادينا

---

[٢١] ينظر ديوان ابن زيدون ص ١٣٩ .

[٢٢] ينظر الشوقيات ج ٢ ص ٥٥ .

[٢٣] ينظر ديوان ابن زيدون ص١٤١ ، وقلائد العقيان القسم الثاني ص ٢٤٧ .

وهذا ما عَبَّر عنه شوقي ، فهو لم يختر الغربة ويفارق الوطن ، وإنما أُجبر ، وظلت صورة مصر لا تفارقه خمس سنوات وهو في منفاه ، كما ظلت صورة ولادة لا تفارق ابن زيدون مدى الحياة .

(٥)

تحفل نونية شوقي بلغة الحب من شوق وحنين وشكوى ، ومن عذاب كل مَنْ صدَّ عنه حبيبه ، أو اغترب عن وطنه طوعاً أو قسراً. وتُطِلّ من كل بيت كلمات تعبر عن القلب المحزون ، وألم الغربة والفراق ، فالشجا يبعث الشجا في قلب شوقي ، والشوق يهزه هزا ، والأسى يهصر عوده ، ونيل مصر يتراءى أمام ناظريه ، وعيشه الغض في وطنه تؤلمه ذكراه .

كانت ألفاظ الحزن والأسى تترى في نونية شوقي ، وكانت ومضة من (ساري البرق) تبعث في نفسه الأمل فيتحدث عن مصر ونيلها الخالد ، ويودّ لو طار اليها على بساط الريح او عباب الماء ، او سعيا على القدم .

ولغة القصيدة فصيحة نقية ليس فيها لفظة دخيلة شأنها شأن كثير من قصائد شوقي[٢٤] ، وليس فيها من غريب اللفظ إلا القليل الذي شرح في الحواشي مثل : الطلح ــ ريش ــ أفانين ــ الفتن ــ الأساة ، النطس ــ الأيك ــ الرفيف ــ منبهة ــ دارينا ــ الرواقي ــ الجدود ــ الرَّوْح ــ الشفوف ــ اللازورد ــ الأفواف ــ الصياحي ــ الرِفَة ــ الإِعذار ــ الغيل ــ المجاج ــ الأواوين ــ الأساطين ــ الغسلين .

وهذه ألفاظ واضحة المعنى لمن له ذوق يدرك المعنى من السياق ، أو شدا شيئا من اللغة العربية .

---

[٢٤] فيها (القياصرة) و (الفراعين) و (فرعون) وهي أعلام .

وجمعت القصيدة بين الأُسلوبين الخبري والإنشائي ، أما الأُسلوب الخبري فقد جاء للوصف وسَرْدِ الأحداث وأما الأسلوب الإنشائي فقد جاء في مواقف التحسر والألم ، إذ بدأت القصيدة بالنداء :

يا نائح الطلْح أشباهٌ عوادينا   نَشْجَى لواديك أم نأْسَى لوادينا

وهذا النداء غير حقيقي لأَن الطائر لن يُجيبه ، ولكنَّ الشاعر أراد أن يُشرِك الطائر في أحزانه ، وأَن يبثه آلامه وشكواه من مصائب الدهر التي نزلت به بعد ان نُفي الى الأندلس ، وفارقَ الوطن ورفاهة العيش فيه .

وحذف الهمزة في الشطر الثاني من البيت ، لأَن التعبير المألوف : ((أنشجى ...)) وذكر أداة الاستفهام في البيت الثاني : ((ماذا تَقُصّ علينا ؟)) فنحن أعلم بما جرى ، وأَنَّ اليد التي قصت جناحيك ((جالت في حواشينا)) وأسلمتنا الى الغربة والشقاء .

واختفى أُسلوب النداء والاستفهام ، وبدأ أُسلوب الخبر : ((رمى بنا البين)) وتخلله نداء : ((فإنْ تكُ الجنس يابْنَ الطلْح فرقنا)) ، ثم ختمت اللوحة الأولى بالاستفهام :[٢٥]

أُساةُ جسمك شَتَّى حين تطلبهم   فمَنْ لروحك بالنُّطْسِ المداوينا

وتحسر الشاعر في مطلع اللوحة الثانية :((آها لنا نازِحي أيكٍ بالأندلس)) وعاد الى النداء : ((يا سارِيَ البرق)) وهو نداء تمنى فيه ان يقف الى النيل ويهتف في خمائله ، ويأسو ما ذَوَى من المنازل ، وما ضَوَى من المغاني . وليس النداء والأمر هنا حقيقتين ، فساري البرق لن يلم

---

[٢٥] من طريف تعليق الدكتور زكي مبارك على البيت قوله ((فإن الطائر يجد لايجد من يأسو جسمه وإنما يجد من يذبحه ويشويه ، والناس الأم من أن يطبوا الطائر الجريح)) . (الموازنة ص ٣٧٢) .

بمصر ، ولن يقف الى النيل ويأسو ما أصاب البلاد بعد سيطرة الإنجليز عليها ، وبعد ان نفوه الى الأندلس .

وظل أُسلوب النداء نُصْبَ عيني شوقي ، لأن في هذا الأسلوب استغاثة وتعبيرا عما في القلب من أحزان : ((ويا معطرة الوادي)) و ((يا من نغار عليهم)) .

ودعا لعهده السالف بالسقيا ((سقيا لعهدٍ كأكناف الربى رِفَةً)) ، وظن ان الصبر يخفف من النداء والاستغاثة والسقيا ، ولكن هيهات :

جئنا الى الصبر ندعوه كعادتنا   في النائبات فلم يأخُذْ بأيدينا

وليس في بناء القصيدة تعقيد ، فقد جرى شوقي على الأُسلوب الفصيح الواضح ، وعلى مراعاة التركيب اللغوي المعهود ، ففي صدر المطلع قَدَّمَ الخبر على المبتدأ :

((أشباهٌ عوادينا)) ورتبته : ((عوادينا أشباه)) وحذف الهمزة في العجز :

((نشجى)) ، والأصل : ((أنشجى ...؟)) ، وحذف الهمزة زاد الاستفهام شجا وأسى .

وفصل بين أول البيت وثلثه الأخير بجملة طويلة :

كأُمِّ موسى ــ على اسم الله تكفلنا   وباسمه ــ ذَهَبَتْ في اليَمِّ تُلْقينا

وفصل بين المبتدأ والخبر بجملة تشبيهية :

ومِصْرُ كالكرم ذي الإحسان ــ فاكهة   لحاضرين وأكوابٌ لبادينا

وجاء بعبارة ((بعد الهدوء)) ليعطي زمنا لساري البرق ويحدده :

يا ساريَ البرق يَرْمي عن جوانحنا   ــ بعد الهدوء ــ ويَهمي عن مآقينا

وكان يحذف أحيانا :

إذا رسا النجم لم ترقأْ محاجِرنا   حتى يزولَ ولم تهدأْ تراقينا

أَي حتى يطلع النهار ، فيخفي الدمع بالتجلد والتأسي :

يبدو النهار فيخفيه تجلُّدنـــا   للشامتين ويأسوه تأسِّينـــــا

وجاء بالترميع:

الوصلُ صافيةٌ والعيش ناغيةٌ   والسَّعْدُ حاشيةٌ والدهْرُ ماشينـــا

وقابل بين (آبَ) و (أثاب) و (كرة) و (ســـنة) و (لاعبنـــا) و (لاهينا) و (الأيام) و (الأحلام) :

فآب من كرةِ الأيام لاعبُنا   وثابَ من سنَةِ الأحلامِ لاهينـــا

وليس في القصيدة من الزخرف ما يثقلها ، وانما هو ما اقتضاه المعنـــى واحتاج اليه التلوين الذي لم يجد شوقي منـــه محيـــدا . ومـــن ذلـــك : (نشجى ـ نأسى) ـــ (البـــين ـ النـــوى ـ (تجـــر ـ تـــسحب) ـ (جسمك ـ روحك) ـ (رســـم ـ رســـم) ـــ (نبـــا ـ نابـــت) ـ (نثرت ـ نظمت) ـ (مطلـــع ـ مغـــرب) ـــ (رَوْح ـ ريحـــان) ـ (يُراوحنا ـ يُغادينا) ـ (حاضرينَ ـ بادينَ) ـ (البكا ـ باكينا) ـ (إنْس ـ شياطين) ـ (يَذْوَى ـ يَـــضْوَى) ـــ (جزينـــاك ـ جوازينا) ـ (دنيا ـ دين) ـ (دجاه ـ الأسحار) ـ(يأســـوه ـ تأسينا) ـ (الاكسير ـ الطين) ـ (كرم ـ الكرام) ـ (أيامنـــا ـ ليالينا) ـ (تنزل ـ تصعد) ـ (سهل ـ جبل) ـــ (القياصـــر ـ فراعينا) ـ (غرّ ـ مُحجلة) ـ (آب ـ ثاب) ـ (الجو ـ البر ـ البحر) .

وفي هذه مقابلات وتجنيس وامتداد ، ولا يستغني عنها الـــشاعر أو الكاتب حينما يعبر عن المعاني ، ويصورها بألوان الفنون .

(٦)

وَظّفَ شوقي بعض وسائل التصوير في رسم صُورة ، ومن ذلك التشبيه بالكاف ((كالخمر من بابل سارَتْ لدارينا)) إذ شبه تنقلـــه فـــي الأندلس بالخمر التي كانت تسير بين المـــدينتين المـــشهورتين بـــالخمر

وهما : بابل ودارين . والتشبيه مرسل إذ ذكرت فيه الأداة ، ومفصّل لأن وجه الشبه مذكور وهو (السير) .

وشبَّه نفسه بموسى ـ عليه السلام ـ حينما خافت عليه أمه من القتل وألقته في اليم ، وكذلك فعلت به مصر حينما ألقت به في الأندلس خوفا عليه من بطش الإنكليز وعملائهم : ((كأم موسى)) والتشبيه مرسل لوجود الأداة ، ومجمل لأن وجه الشبه محذوف وهو الخوف من فتك فرعون والإنكليز .

ومصر ((كالكرم في الإحسان)) ، وهذا تشبيه مرسل لوجود الأداة ، ومفصل لوجود وجه الشبه وهو (الإحسان) .

وزفرة النجم ((كزفرةٍ في سماء الليل)) وهو تشبيه مرسل لوجود الأداة ، ومفصل لوجود وجه الشبه وهو (الحيرة)

وكان عهد شوقي : ((كاكنافِ الربى رِفَةً)) أي نَضْرة ونعيما ، فهو تشبيه مرسل ومفصل لوجود (رِفة) وهي وجه الشبه .

و ((النيل يُقْبل كالدنيا إذا احتفلت)) مرسل ومفصل ، ووجه الشبه (الاحتفال) .

ولا تغير الأيام صبْغا وخلقا ((إذا تلوّن كالحِرباء شانينا)) وهو تشبيه مرسل ومفصل ، ووجه الشبه هو الكيان الذي لا يتغير ، والخلق الذي لا يتبدل : ((ولا يحول لنا صبْغ ولا خلق)) .

وجاء التشبيه ـ أيضا ـ بالأداة (كأنَّ) : ((ونابغي كأنَّ الحشر آخره)) إذا شبه الليل الذي لا ينتهي بآخر الحشر ، وهو تشبيه مرسل لوجود الأداة ، ومجمل لأن وجه الشبه محذوف وهو (الطول) .

وأبدع في تصوير الأهرام التي لم تزعزعها عوادي الدهر : ((كأنَّ أهرام مصر حائط)) ، والتشبيه مجمل ، وتقدير وجه الشبه (القوة) .

والأهرام ((كأنها ورمالا حَولَها التطمت سفينةٌ)) أي أنها كالسفينة التي غرقت ولم يبق منها ظاهرا للعيان إلا سواريها . والتشبيه مرسل ومفصل ، ووجه الشبه (الفرق) .

والأهرام : ((كأنها تحت لألاء الضحى ذهبا كنوزٌ فرعون))
والتشبيه مرسل ، ومفصل لأن وجه التشبيه (لألاء الضحى ذهبا)) .
ومن أدوات التشبيه في القصيدة الفعل (تحسبها) : ((والشمس تختال في العقْيان تحسبها بلقيس)) والتشبيه مرسل ومفصل ، ووجه الشبه ((وشي اليمانينا)) لما فيه من ألوان زاهية تتلألأ .

وفي القصيدة تشبيه حُذفت فيه الأداة : ((تَماثُلَ الوردِ خِيرا ونَسرينا)) أي : مثل تماثُل ، والتشبيه مؤكد لحذف الأداة ، ومفصل لوجود وجه الشبه وهو (الخيري والنسرين) وما فيهما من روعة وجمال .

ويقف الى جانب التشبيه في التصوير تغير الدلالة وإسناد الشيء الى ما ليس له علاقة لغوية في أصل الوضع ، ومن ذلك :
((رَمَتْه النوى)) والنوى لا ترمي فالعلاقة مجازية .

والملاعب التي كان شوقي منعما فيها لا تمرح وإنما الشاعر مرح فيها ، والأماني لا تأنس ، وانما الإنسان يأنس بها .[٢٦]

مُنًى إنْ تكُنْ حقا تكُنْ أَحْسَنَ المنى وإلا فقد عِشْنا بها زَمَنا رَغْدا

والاحتواء هو الضم ، ولكنَّ الشاعر قال : ((حنى حوتك سماءُ النيل عاليةً)) .

وجعل للازوَرْد ثيابا رقاقا : ((وأحرزتك شفوفُ اللازورد)) التي هي من ((وشي الزبرجد)) .

---

[٢٦] البيت لرجل من بني الحارث (ينظر شرح ديوان الحماسة القسم الثالث ص ١٤١٣) .

و ((المنازل)) لا تَذْوَى ، و ((المغاني)) لا تَضْوَى وإنما هي من صفات الكائن الحي كالنبات والحيوان .

وجعل شوقي الحنين ينوب عن الدلال : ((ناب الحنينُ اليكم في خواطرنا)) والصبر لا يُدعى : ((جئنا الى الصبر ندعوه)) وإنما تجدر الإنسان نفسه على الصبر وتحمل الآلام والأحزان .

والنجم لا يرسو ، وإنما ما يشق عباب الماء يرسو .

وضح الشاعر الصَّبا أعطافا ((وأعطاف الصَّبا لينا)) .

واكسب مظاهر الطبيعة صفات الكائن الحي ، فالشمس تختال والنيل يقبل ، والسيل يعف ، وكَنَّى عن الطائر بابن الطلْح ، وهذه كناية عن النسبة مثل : (ابن دجله) للعراقي ، و (ابن بَـرَدَى) للسوري ، و (ابن النيل) للمصري .

وربما كَنَّى بنجائب النور عن الوسيلة التي تستقله في هذا العصر ، كما استقلت نجائبُ النوقَ الناسَ في القديم .

وأشار بعبارة ((ذكية الذيل)) الى قميص يوسُفَ ـ عليه السلام ـ حينما ألقي على وجه أبيه يعقوب ـ عليه السلام ـ فردَّ اليه بصره .

وكَنَّى عن طول الليل بالنابغي ، وفي هذا إشارة إلى بيت النابغة الذبياني :

كليني لهم يا أميمة ناصب   وليل أقاسيه بطيء الكواكبِ

(٧)

لم يكثر شوقي من أدوات التشبيه وأساليب المجاز والكناية في نونيته كشأنه في كثير من قصائده ، وإنما اعتمد على الوصف ، فهو في اللوحة الأُولى صَوَّرَ خير تصوير وهو يناجي طائر الطلْح ، ويشبه آلامه التي هي آلام الطير ، وفي اللوحة الثانية صَوَّرَ حاله وهو يطوف في الأندلس وقد غلبه الدمع لولا جلال البلاد التي هو فيها وقد رقأ دمعه

تجلدا وتأسيا . وفي اللوحة الثالثة رسم صورة مشرقة لوطنه مصر الذي حُرِمَ منه خمس سنوات عجاف ، وخاطب ساريَ البرق ، ووصف ترقرق الدمع ، ومشهد الليل والنجم . ورسم في اللوحة الرابعة صورة لمعطرة الوادي التي سَرَت سحرا ، ليصل في اللوحة الخامسة الى تصوير أحزانه وحنينه الى الوطن . وتجلى تصويره البارع في اللوحة السادسة حين هاجت بهِ الذكرى وتحدَّثَ عن عهده الغابر ، وحياته الزاهية في مصر ، وعن النيل والأهرام ، وفخر بنفسه وبالوطن ، واستمر في ذلك حتى اللوحة السابعة ، التي وَدَّ لو استطاع الوصول الى مصر جوا وبرا وبحرا ، ليقضي حق الوطن ، وليرى أُمه التي حمل لها ولمصر شجنا وهو لا يَدْري أيَّ هوى الأُمَّين يشجيه ، أهوى الأُم أَم هوى الوطن ؟

(٨)

لم تكن نونية شوقي معارضة لنونية ابن زيدون بالمعنى الدقيق وإن اتحدتا في الوزن والقافية والهدف ، قال الدكتور شوقي ضيف إنَّ الشاعر ((بَعُدَ في معارضة ابن زيدون عن الأصل))[٢٧] ، وشخص محمد الهادي الطرابلسي ابرز ما اتفقت فيه القصيدتان ، وهو مناجاة البرق والنسيم ، وهو أربعة أبيات (٢٠ ــ ٢٣) في قصيدة ابن زيدون))[٢٨] :

يا ساريَ البرق غادِ القَصْرَ واسْقِ به

مَنْ كان صِرْفَ الهوى والود يسقينا

واسألْ هنالك هل عنَّى تذكرنا إلْفا تذكره أَمْسَى يُعنينا

---

[٢٧] شوقي شاعر العصر الحديث ص ٧٥ .

[٢٨] ينظر خصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٢٤٣ ، قلائد العقيان ــ القسم الثاني ص ٢٤٦ ، والموازنة بين الشعراء ص ٣٦٦ .

ويا نسيم الصَّبا بَلِّغْ تحيتنـــا   مَنْ لو على البُعْدِ حيّا كان يُحيينا

فهل أرى الدهْرَ يقضينا مُسَاعفةً   منه وإن لم يكن غِبّا تقاضينــا

وأربعة عشر بيتاً (٢٥ ــ ٤٢) في قصيدة شوقي :

يا ساريَ البرق يَرْمي عن جوانحنا   بَعْدَ الهدوء ويَهْمي عن مآقينــا

الى قوله :

إنَّ الذين وَجَدْنا ود غيرهـــم   دنيا وودهم الصافي هو الدينا

وفي أبيات شوقي تفصيل بخلاف أبيات ابن زيدون الأربعة التي يسأل فيها ((البرق أن يسقي القصر ، وشوقي يسأل البرق أن يأسو المنازل الذاوية ، والمغاني الضاوية ، والمعنيان مقتربان)) ولكنَّ شوقي قدَّمَ ((صورةً شعرية لتنقل البرق من أُفقٍ الى أُفق ، وانحداره من أرض إلى أرض ، واعطى صُورا من ريف مصر ، وخمائل النيل لا تشوق إلا شاعرا وَدَّع دنياه حين وَدَّع النيل))[٢٩] .

ووازن الدكتور زكي مبارك بين القصيدتين ، وأشار الى ما في كل واحدة من روعة وتفوق وجمال ، وقال إنَّ احمد شوقي قد بَذَّ ابن زيدون ، وإنَّ نونيته من الأعاجيب ، وقد أرسلها من الأندلس في أعقاب الحرب العالمية فضجَّ لها شعراء مصر ، وأجابه إسماعيل صبري وحافظ إبراهيم وعبد الحليم المصري ، ولكنهم عجزوا جميعا عن الجري في ميدانه ، ولم يؤثر لهم في معارضته شيء ذو بال بالقياس إلى نونية أمير الشعراء))[٣٠] .

ولم يسلم شوقي من التأثر بغيره ، فالدكتور زكي مبارك يقول عن البيت :

يا ساريَ البرق يَرْمي عن جوانحنا   بعد الهدوء ويَهْمي عن مآقينا

---

[٢٩] الموازنة بين الشعراء ص ٣٧٥ .

[٣٠] الموازنة بين الشعراء ص ٣٧٠ .

إنَّ شوقي اختلسه برفق وحذق من قول ابن زيدون :[٣١]

بنتم وبنا فما ابتلَّتْ جوانحنـــــا شوقا اليكم ولا جَفَّتْ مآقينـــا

وتأثر شوقي في النونية بغيره قليل ، ومن ذلك قوله :

فانْ يَكُ الجنسُ يا بن الطلْح فرَّقنا إنَّ المصائب يجمعْنَ المصابينا

قريبٌ من قول البحتري :[٣٢]

ذاك عندي وليست الدارُ داري باقترابٍ منها ولا الجنس جنْسي

يريد شوقي جنسه وجنس الطائر ، ويريد البحتري جنسه الأعاجم .

وقد يكون بيتا شوقي اللذان طلب من جريـــدة (الأهـــرام) أن يُعرضا على الشاعر إسماعيل صبري بدايةَ نظم النونية ، ولعلـــه فـــي بيته :[٣٣]

ويا معطرة الوادي سَرَت سَحَرا فطابَ كلُّ طَروح من مرامينـــا

متأثر ببيت صبري :

يا نسمةً ضمخت أذيالها سحرا أزهـــارُ أندلسٍ هُبِّي بوادينـــــا

وقوله :

لكنَّ مِصْرَ وإِنْ أَغضت علة مِقَة عينٌ من الخلْد بالكافور تسقينـــا

على جوانبها رفَّـــتْ تمائمنــــــا وحَوْلَ حافاتِها قامَتْ رَواقينـــــا

إشارة الى البيتين القديمين :[٣٤]

أَحبُّ بلادِ اللَّهِ ما بين منْعَـــجٍ اليّ وسلمى أَنْ يصوبَ سَحابُها

بلادٌ بها نيطت عليَّ تمائمــــي وأَولُ أرضٍ مَسَّ جلدي ترابُها

وأَشار الى ام موسى التي ألقت رضيعها في اليم :

---

[٣١] الموازنة بين الشعراء ص ٣٧٦ .

[٣٢] ينظر ديوان البحتري ج١ ص ١٩٤ .

[٣٣] ينظر الشوقيات المجهولة ج٢ ص ١٦٧ .

[٣٤] تنظر الحماسة البصرية ج٢ ص ١٢٩ .

كأمّ موسى ـ على اسم الله تكفلنا وباسمه ـ ذَهَبَتْ في اليم تُلقينا

خشية من أن يقتله فرعون ، وأمرها الله ـ سبحانه وتعالى ـ أن تلقيه في اليم وطمأنها بأنه سيعيده إليها ، قال تعالى : ((وأوحينا إلى أمِّ موسى أنْ أرضعيه ، فإذا خفْتِ عليه فألقيه في اليمّ ، ولا تخافي ولا تحزني إنّا رادُّوه اليك وجاعلوه من المَرسَلين)) (سورة القصص ٧) . وفي البيت إشارة إلى قوله تعالى على لسان أخت موسى : ((هل أدلكم على أهْلِ بيتٍ يكفلونه لكم ، وهم له ناصحون)) (سورة القصص من الآية ١٢) .

لقد شبَّهَ شوقي نفسه بموسى ـ عليه السلام ـ الذي ألقته أمه في اليم ، وقد نفي الى الأندلس ، وكان النفي أمانا له من بطش الإنكليز وعملائهم ، كإلقاء موسى ـ عليه السلام ـ في اليم خشية ان يقتله فرعون ، وكما كفلت أسرة فرعون موسى وأبقته حيا ، كفلت مصر شاعرها بان وهبته الحياة وهو في غربة النوى بعيدا عن بطش الانكليز وعملائهم الذين فضلوا العمى على الهدى .

وفي قوله :

ذكية الذيل لوخِلْنا غِلالتها قميصَ يوسُفَ لم نُحْسب مُغالينا

إشارة الى قميص يوسُفَ ـ عليه السلام ـ الذي ردَّ البصر الى يعقوب ـ عليه السلام ـ حين ألقي على وجهه : ((إذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وَجْهِ أبي يأتِ بصيرا ، وأتوني بأهلكم أجمعين . ولما فَصلَت العيرُ قال أبوهم : إني لأجِدُ ريحَ يوسُفَ لولا أنْ تُفندون . قالوا تاللهِ إنك لفي ضلالِكَ القديم . فلما أن جاءَ البشيرُ ألقاهُ على وَجْهه فارتَدَّ بَصيرا ، قال : الم أقُل لكم اني أعلم من اللهِ ما لا تعلمونَ)) (سورة يوسف ٩٣ ـ ٩٦) .

وفي قوله :

إعداه من يُمْنه التابوتُ وارتسمت   على جوانبه الأنوارُ من سِينا

إشارة الى القاء تابوت موسى في النيل ، والى هجرته حيث شـع نــورُ النبوة وهو في سيناء ، قال تعالى : ((إذا رأى نــارا فقــال لأهْلــه : امكثوا ، إني آنَستُ نارا لعلي آتيكم منها بقَبسٍ أو أَجدُ على النّارِ هُدى)) (سورة طه ١٠) وتنظر (سورة النمل ٧) . ولم يَكُ ما رأى موســى ـ عليه السلام ـ إلا النور الذي وجد عليه الهدى ، وهو النبوة التي كرمه الله بها .

وقوله :

ولم نَدَعْ لليالي صافيا فَدَعَتْ   ((بأنْ نَغصَّ فقال الدهرُ آمينا))

من نونية ابن زيدون[٣٥] :

غيظ العدا من تَساقينا الهوى فدعوا   بأن نَغَصَّ الدْهرُ آمينا

وقابل شوقي في بيته بين الخيري والنسرين :

لما نبا الخُلْدُ نابت عنه نسختُهُ   تماثُلَ الوردِ خيريا ونَسرينــا

وقابل ابن زيدون بين الغضّ من الورد والنَّسرين[٣٦] :

يا روضة طالما أَجَنْتْ لواحظنا   وَردا جلاه الصِّبا غَضّا ونَسرينا

ولم يتبين محمد الهادي الطرابلسي المقابلة بين الأشياء في البيتين ، وان قال إنَّ وجه الدلالة في مقابلة شوقي ((أبين مما هو عليــه عنــد ابــن زيدون[٣٧] . وذكر الموافقات بين مقاطع قصيدة ابن زيــدون ومقــاطع قصيدة شوقي وهي[٣٨] :

---

[٣٥] ينظر ديوان ابن زيدون ص ١٤١ ، وقلائد العقيان القسم الثاني ص ٢٤٦ .

[٣٦] ينظر ديوان ابن زيدون ص ١٤١ ، وقلائد العقيان القسم الثاني ص ٢٤٧ .

[٣٧] خصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٢٦٢ .

[٣٨] ينظر خصائص الأسلوب في الشوقيات ص ٥٤٢ .

عوادينا ــ أفانينا ــ يثنينا ــ دينا ــ نَسرينا ــ أمانينا ــ مآقينا ــ رياحينا ــ أيدينا ــ تُحيينا ــ تأسينا ــ لينا ــ شينا ــ دينا ــ طينا ــ ليالينا ــ آمينا ــ غِلينا .

وهي كلمات يستعملها كلُّ شاعر وكاتب ــ ولكنَّ ورودها في قصيدة شوقي تومئ الى استعمال ابن زيدون لها في نونيته التي سبقت نونية شوقي بقرون .

(٩)

في ضوء المنهج الذي دعونا اليه ، اتضح في دراسة نونية شوقي :

١ ــ الظروف التي قيلت فيها ومكان نظمها وزمانه .

٢ ــ دوافع نظمها وهي الحنين الى الوطن والشكوى من الغربة والألم .

٣ ــ الصلة بينها وبين نونية ابن زيدون .

٤ ــ الوقوف على لغتها وأسلوبها وصورها .

٥ ــ تلمس صلتها بالتراث .

٦ ــ احتفاظها بروحها الفنية وجمالها الرائع البديع.

ولولا الاخذ بهذا المنهج لأصبحت القصيدة معادلات جبرية ، واشكالا هندسية ، وخطوطا بيانية ، وماتت قبل موت احمد شوقي ــ رحمه الله ــ .

المصــــادر :

١ ـ الحماسة البصرية ـ صدر الدين بن أبي الفرج بـن الحـسين البـصري ـ تحقيق الدكتور مختار الدين احمد ـ حيدر آباد الدكن ـ الهند ١٣٨٣ هـــ ـ ١٩٦٤م .

٢ ـ خصائص الأسلوب في الشوقيات ـ محمد الهـادي الطرابلـسي ـ تـونس ١٩٨١م .

٣ ـ ديوان ابن زيدون ورسائله ـ شرحه وعلق عليه علي عبد العظيم ـ القاهرة ١٩٧٧م .

٤ ـ ديوان البحتري ـ طبعة صادر ـ بيروت ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢م.

٥ ـ شرح ديوان الحماسة ـ أبو علي احمد بن محمد بن الحـسن المرزوقـي ـ نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون . القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥١م .

٦ ـ الشوقيات ـ احمد شوقي ـ طبعة مطبعة مصر ـ القاهرة .

٧ ـ الشوقيات المجهولة ـ احمد شوقي ـ بقلم الدكتور محمد صبري ـ القاهرة ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م .

٨ ـ شوقي شاعر العصر لحديث ـ الدكتور شوقي ضيف ـ الطبعـة الثالثـة ـ القاهرة ١٩٦٣م .

٩ ـ قلائد العقيان ومحاسن الأعيان ـ أبو نصر الفتح بن محمـد بـن عبيـد الله القيسي الاشبيلي الشهير بابن خاقان ـ تحقيق الـدكتور حـسين يوسـف خريوش ـ الزرقاء ـ الأردن ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م .

١٠ ـ المرشد الى فهم اشعار العرب وصـناعتها ـ الـدكتور عبـد الله الطيـب المجذوب ـ القاهرة ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م .

١١ ـ منهاج البلغاء وسراج الأدباء ـ حازم القرطاجني ـ تحقيق الدكتور محمـد الحبيب بن الخوجة ـ تونس ١٩٦٦م .

١٢ ـ الموازنة بين الشعراء ـ الدكتور زكي مبارك ـ القاهرة ١٩٦٨م .

اثر أسلوبي الندوة والعصف الذهني في تحصيل طالبات الصف الرابع العام في مادة التربية الإسلامية واستبقائه

الأستاذ الدكتور حسن علي العزاوي — كلية التربية ـــ ابن رشد ـــ جامعة بغداد

المدرسة الدكتورة زينة مجيد الكبيسي — كلية التربية ـــ الجامعة الاسلامية

الملخص :

يهدف البحث الحالي إلى معرفة اثـــر أسـلوبي النــدوة ، والعصف الذهني في تحصيل طالبات الصف الرابع العام في مــادة التربية الإسلامية ، واستبقائه ، وبغية تحقيق هذا الــــهدف اختـــار الباحثان عشوائيا ثانوية الحكمة للبنات في بغداد ، لإجراء التجربــة ووزع الباحثان الأساليب التدريسية الثلاثة علـــى شـــعب الصـــف الرابع العام الثلاث الموجودة في المدرسة بصورة عشوائية .

وكافأ الباحثان بين طالبات مجموعــــات البحــث الثــلاث إحصائيا في العمر الزمني ، ودرجات مادة التربية الإسلامية للعـلم السابق للتجربة ، والذكاء ، والتحصيل الدراسي للأبوين .

وبعد ان حدد الباحثان المادة العلمية التي تضمنت معظـــــم الموضوعات الواردة في كتاب التربية الإسلامية المقرر تدريســـها للصف الرابع العام ، صاغ الباحثان (١٦٣) هدفا ســلوكيا وأعــدّا (٤٢) خطة تدريسية للموضوعات المقرر تدريسها ، علـــى وفــق الأساليب التدريســـية الثلاثـــة ، النــدوة ، والعصــف الذهنـــي ، والتقليدي ، وبنى الباحثان اختبارا تحصيلياً بعدياً في مادة التربيــة الإسلامية مكونا من (٦٠) فقرة اتصف بالصدق والثبات .

وبعد تطبيق التجربة تمخضت الدراسة عن النتائج الاتية :

١ــ وجود فرق لها دلالة إحصائية عند مستوى دلالــة (٠,٠٥) بيــن أسلوب الندوة ، والأسلوب التقليدي في التحصيل لمصلحة أســلوب الندوة ، وعند مستوى دلالة (٠,٠١) فــي الاســتبقاء بــالتحصيل لمصلحة أسلوب الندوة .

٢ــ عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بيــن أسلوب العصف الذهني ، والأسلوب التقليدي في التحصيل واستبقائه .

٣ــ عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مســتوى (٠,٠٥) بيــن أسلوبي الندوة ، والعصف الذهني في التحصيل واستبقائه .

وفي ضوء النتائج أوصى الباحثان بتوصيات عدة ، واقترحــا إجراء دراسات أخرى استكمالا لما توصل إليه البحث الحالي .

مشكلة البحث : ــ

كثيراً ما تثار التساؤلات حول رسالة التربية الإســلامية فــي المدارس ، هل أدت هذه التربية رسالتها في بنــاءِ الحيــاة الفرديــة ، والاجتماعية بناءَ سليما ، وإذا كان الجواب بالاثبات ، لمــاذا لا نــرى لشبابنا ثقافة إسلامية خصبة ؟ ولماذا لا نرى اثر هذه التربية واضحــا في اتجاهات الكثيرين منهم ، وفي سلوكهم ؟ وإذا كان بالنفي فلا بد من إن هناك نواحي متعددة لم تتوافر على النحو المنشود .

(شحاته ، وعبد الله ، ١٩٩٣م ، ص١٦٤)

وقد عزت معظم الأدبيات ذلك إلى الأسلوب التقليدي الــذي يعتمــده معظم المدرسين ولا سيما مدرسو التربية الإسلامية فالطــابع الغــالب فــي تدريس هذه المادة هو التركيز على الحفظ ، والاستظهار .

(اقلانية ، د.ت ، ص١٤)

وأكدت (مجموعة من الباحثين ،٢٠٠١م)هذا بالقول: (إن طريقة التلقين ما زالت مستمرة في عموم وطننا العربي ، ومنه العراق وعلى مختلف المستويات حتى الجامعة مما يعوق خلق الانسان المبدع المفكر)
(مجموعة باحثيين ، ٢٠٠١م ، ص٦٢٢)

وانطلاقا من الاهتمام بالنهوض بواقع تدريس التربية الإسلامية لرفع مستوى مخرجات التعليم ، والتأثير بفاعلية في سلوك المتعلمين مما يعزز تحصيلهم ، ويجعلهم يحتفظون به مدة اطول أرتأى الباحثان التثبت عمليا من مدى نجاح استعمال أسلوبي الندوة والعصف الذهني في تحصيل طالبات الصف الرابع العام في مادة التربية الإسلامية ، واستبقائه .

أهمية البحث : ــ

يقول الحق تبارك وتعالى : (ادع الى سبين ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين) . (النحل / ١٢٥)

والحكمة تقتضي استعمال الأسلوب الامثل لتبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة ، وشريعة ، وأخلاق ، من أجل بناء شخصية متكاملة فكريا ، وانفعاليا ، وجسميا ، وعاطفيا .

إذ إنّ عملية اختيار الأسلوب من الأهمية بمكان ، فالمدرس النبيه هو الذي يحسن اختيار الأسلوب التدريسي الأنسب لكل موقف تعليمي من مجموعة أساليب يبدو كل واحد منها مناسبا للموقف التعليمي . (الخوالدة ، ويحيى ، ٢٠٠١م ، ص١٤٩)

لذلك ظهرت اهتمامات واسعة تدعو لإصلاح أساليب التدريس منها توصيات الندوة العلمية ١٩٩٢م : ((إلزام إدارات المدارس ،

والمعاهد فيها إتباع الاساليب الديمقراطية في توجيه الطلبة نحو الانخراط في الأنشطة العلمية ، والتربوية ، أو في إدارة الصف مع توسيع قاعدة الحوار ، والمناقشة داخل الصف)) .

(جمهورية العراق ، ١٩٩٢م ، ص١٥٣)

وهذا لا يتم إلا من خلال اعتماد الأساليب التفاعلية التي تعتمد مبدأ المساءلة عن طريق الحوار ، والمناقشة ، وهي تجتهد لتوجيه الطالب نحو التفاعل في الموقف التعليمي . ومن هذه الأساليب أسلوبا الندوة والعصف الذهني بوصفهما من أساليب المناقشة إذ يشترك المدرس مع طلبته في فهم موضوع ، وتقويمه ، أو فكر ، وعمل ، أو مشكلة ما ، وبيان مواطن الاختلاف من اجل الوصول الى قرار .

(مدكور ، ١٩٩٨م ، ص٢٤٠)

وانطلاقا من اهتمامنا بواقع الطلبة ، ولا سيما طلبة المرحلة الإعدادية الذين يتميزون بظهور استعدادات جديدة على مستوى مداركهم . (كراجة ، ١٩٩٧م ، ص٤١) اختار الباحثان المرحلة الإعدادية . لا سيما طلبة الصف الرابع العام ، لأنها المرحلة المناسبة التي يمكن أن يطبق فيها أسلوبا الندوة ، والعصف الذهني في تدريس مادة التربية الاسلامية ، فلهذه المرحلة خصوصيتها فهم أكثر استقرارا إذ تحقق لديهم درجة من النضج تنعكس في حالات عدة عن طريق اتجاه أكثر جديد نحو العمل واهتمام بالإعداد للمستقبل .

(الشبلي ، ٢٠٠٠م ، ص٣٣)

وتتجلى أهمية البحث الحالي : ــ في هذه المواد :

١ــ أهمية التربية الإسلامية .

٢ــ أهمية الأساليب التدريسية .

٣ــ أهمية اسلوبي الندوة والعصف الذهني .

٤ــ أهمية المرحلة الإعدادية لا سيما الصف الرابع العام .

هدف البحث :

يهدف البحث الحالي تعرف :

١ــ اثر أسلوبي الندوة ، والعصف الذهني في تحصيل طالبات الصف الرابع العام في مادة التربية الإسلامية .

٢ــ اثر أسلوبي الندوة ، والعصف الذهني في الاستبقاء لدى طالبات الصف الرابع العام في مادة التربية الإسلامية .

فرضيتا البحث :

١ــ لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات تحصيل الطالبات الائي يدرسن باسلوب الندوة ، واللائي يدرسن بأسلوب العصف الذهني ، واللائي يدرسن بالأسلوب التقليدي في مادة التربية الإسلامية .

٢ــ لا يوجد فرق ذو دلالة إحصائية بين متوسط درجات استبقاء تحصيل الطالبات اللائي يدرسن بأسلوب الندوة ، واللائي يدرسن بأسلوب العصف الذهني ، واللائي يدرسن بالأسلوب التقليدي في مادة التربية الإسلامية .

حدود البحث :

١ــ طالبات الصف الرابع العام في المدارس الإعدادية ، والثانوية النهارية في محافظة بغداد للعام الدراسي ٢٠٠٣ ــ ٢٠٠٤م .

٢ــ موضوعات من كتاب التربية الإسلامية المقرر لطلبة الصف الرابع العام ، وتضم الاحاديث وهي : (الناجون يوم القيامة ، وطرق النجاة ، والمفلس في الآخرة ، وحق الصديق والجار ، واكبر

الكبائر ، ورعاية اليتيم ، وحسن الخلـــق) ، والابحـــاث ، وهـــي (الخطبة واثارها ، والزواج واثاره ، وحقوق الزوجين ، وحقـــوق الاولاد والابوين ، وانحلال الـــزواج [الطـــلاق] ، والمـــيراث ، والتكافل بين اعضاء الاسرة ، واحكام الاسير في الاسلام) .

٣ــ مدة التجربة من ١٠ كانون الاول الى ٢٨ نيسان من العام الدراسي (٢٠٠٣ ــ ٢٠٠٤ م) .

تحديد المصطلحات :

اولا : الاسلوب Technique

* عرفه (محمد ، ومجيد ، ١٩٩١م) بانه : ((الطريقـــة العمليـــة المتبعة في حل المشكلات)) . (محمد ، ومجيد، ١٩٩١م ص٥١)

* وعرفه (جـــامل ، ٢٠٠٠) بانـــه ((النمـــط التدريســـي الـــذي يفضله معلم ما)) . (جامل ، ٢٠٠٠م ص١٧)

* وعرفه (قطامي ، واخران ، ٢٠٠٠م) بانه (تركيب افـتراضي يساعد على شرح عملية التعليم ، والتعليم ، ويستعمل البـــاحثون كلمـــة اسلوب لتشير الى النوعية الشاملة في سلوك الفرد ، وتعتمد على إلـــتزام الفرد بفرديته في التدريس وتطوير استقلالية المتعلم)) .

(قطامي ، واخران ، ٢٠٠٠م ، ص٥٩٤)

ويرى الباحثان من خلال التعريفات السابقة التباين الواضح في تحديد مفهوم الاسلوب ، ومع ذلك هناك اتفاق بينها علـــى ان الاســـلوب هـــو الوسيط الذي عن طريقه تنتقل المعلومة ، او المـــهارة مـــن المـــدرس الى الطالب .

ويستخلص الباحثان مما تقدم ان الاسلوب الذي يرتضيه مدرس مـــا يرتبط على نحو اساس بالخصائص الشخصية لذلـــك المـــدرس بحيـــث

يستطيع من خلاله توظيف طرائق التدريس بفاعلية تميزه عن غيره من المدرسين الذين يستعملون الطريقة نفسها ، ويمكن الباحثان ان يعرفا الاسلوب اجرائيا بانه : ـ

المسار الذي يتبعه الباحثان في تدريس مادة التربية الاسلامية لطالبات الصف الرابع العام لتحقيق خطوات الندوة ، والعصف الذهني ، والتقليدي .

ثانيا : الندوة Forum

* عرفها (بدوي ، ١٩٨٠م) بانها : ((اسلوب تعليمي يقوم بمقتضاه شخصان ، او اكثر حتى خمسة اشخاص من البارزين في موضوع معين للتحدث عن النواحي المختلفة للموضوع نفسه ، او لعدة موضوعات متصلة ببعضها البعض اتصالا وثيقا)) .

(بدوي ، ١٩٨٠م ، ص٢٤٩)

* وعرفها (الكبيسي ، وصالح ، ٢٠٠٠م) بانها : ((طريقة تتمثل بمجموعة صغيرة لا تزيد عن ستة اشخاص يجلسون على شكل نصف دائرة ، ويتناقشون في الموضوع ثم بعد ذلك يسمح للطلبة الاخرين في مناقشة الموضوع)) .

(الكبيسي ، وصالح ، ٢٠٠٠م ، ص١٢٨)

اما الباحثان فقد عرفا الندوة اجرائيا بما ياتي :

اسلوب تدريسي يتاح فيه للطالبات مشاركة في عرض مادة التربية الاسلامية ومناقشتها ، وذلك من خلال تقسيمهن على مجموعات بحيث يتاح في كل درس لاحدى المجموعات لتكون عضوات في الندوة على ان لاتزيد المجموعة عن (٦) طالبات بادارة رئيسة الندوة التي

تعلق على ما تطرحه العضوات ، وتحافظ على النظام داخل الصـــف ، وتجيب على الأسئلة التي يتعذر على العضوات الإجابة عنها .

ثالثا : العصف الذهني Brainstorming:

* عرفه (قطامي ، وآخـــرون ، ١٩٩٥م) بانـــه ((اصـــدار الافكار التي ترد الى الذهن من دون كف ، اوضبط ، او حصر)) .
(قطامي ، وآخرون ، ١٩٩٥م ، ص٣٠٨)

* عرفه (الحصيري ، ويوسف ، ٢٠٠٠م) بانه : ((نمط من التفكير النشط ينقل تربيتنا التقليدية من اساليب الحفظ الآلـــي الرتيـــب للمعلومات التي يسيطر عليها القول اللفظي الى مستويات ارقـــى مـــن التفكير المبدع في هذا العصر الذي تراكمت فيه المعلومات)) .
(الحصري ، ويوسف ، ٢٠٠٠م ، ص١٦٢)

اما الباحثان فقد عرفا العصف الذهني اجرائياً بانه : ـــ

اسلوب لتدريس التربية الاسلامية يستعمل من اجل توليد اكـــبر عدد من الافكار لدى طالبات الصف الرابع العام من خلال المشاركة في حل مشكلة خلال مدة زمنية محددة في جو تسوده الحرية ، والامان فـــي طرح الافكار بعيدا عن النقد ، او التقويم المباشر .

رابعا : التحصيل :

* عرفه (Good) بانه انجاز ، او كفاية في الاداء في مـــهارة معينة ، او مجموعة من المعارف . (Good,1973, P.7)

* وعرفه (علام) بأنه : ـــ ((درجة الاكتساب التي يحققـــها فرد او مستوى النجاح الذي يعززه ، او يصل اليه في مادة دراسية)) .
(علام ، ٢٠٠٠ ، ص٣٠٥)

اما الباحثان فقد عرفا التحصيل اجرائيا بانه : ـ

الدرجة الكلية التي تحصل عليها طالبات الصف الرابع العام اللواتي يتم تدريسهن مادة التربية الاسلامية في اثناء مدة التجربة في الاختبار التحصيلي المعد لهذا الغرض .

خامسا : ـ الاستبقاء (الاحتفاظ)

* عرفه (رزوق ، وعبد الله ، ١٩٧٧م) بانه : ـ ((الاثر الثابت الذي يتبقى بعد التجربة والخبرة)) .

((رزوق ، وعبد الله ، ١٩٧٧م ، ص١٣))

* وعرفه (ابو جادو ٢٠٠٣م) بانه ((مفهوم يفيد ان قسما من خصائص الشيء تبقى ثابتة بالرغم من التغيرات التي تطرأ على خصائصها الأخرى)) . (ابو جادو ، ٢٠٠٣م ، ص٤٢٣)

اما الباحثان فقد عرفا الاستبقاء اجرائيا بانه : ـ

مقدار ما تحتفظ به طالبات عينة البحث من المعلومات ، والخبرات التي سبق تعلمها من خلال تدريسهن مادة التربية الاسلامية مقيساً بالدرجة التي تحصل عليها كل طالبة بعد اعادة تطبيق الاختبار التحصيلي مرة ثانية بعد مرور اسبوعين من تطبيقه للمرة الاولى .

دراسات سابقة :

(١) دراسة الوائلي ، ١٩٩٦م :

(اثر اسلوب الندوة في تحصيل طالبات الصف الخامس الادبي في مادة الادب والنصوص) ، هدفت الدراسة التي اجريت في كلية التربية / جامعة بغداد تعرف اثر اسلوب الندوة في تحصيل طالبات الصف الخامس الادبي في مادة الادب والنصوص ، تالفت عينة الدراسة من (٧٤) طالبة موزعات على مجموعتين تجريبية وضابطة .

ولاختبار فرضية الدراسة اعدت الباحثة اختبارا تحصيليا ضم (٤٠) فقرة وفي نهاية التجربة التي استمرت ثلاثة اشهر عالجت الباحثة البيانات احصائيا الاختبار التائي ثم خلصت الدراسة الى نتيجة مفادها وجود فرق ذي دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين افراد المجموعتين (التجريبية ، والضابطة) ولمصلحة المجموعة التجريبية التي درست باسلوب الندوة . (الوائلي ، ١٩٩٦م ، ص٩ـ١٣٣)

(٢) دراسة Kochery ، ١٩٩٦:

(اثر صيغة بديلة للعصف الذهني الجماعي في تسهيل الانتاج الكلي العالي للافكار) سعت الدراسة التي اجريت في الغرب الاوسط الامريكي الى تقصي اثر صيغة بديلة للعصف الذهني الجماعي ، الا وهو التامل الفردي ذو الاتجاه الجماعي الشخصي التفاعل ، في تسهيل الانتاج الكلي العالي للافكار في المجموعات التعليمية ، ومعرفة اثر المجموعة في إعاقة انتاج الافكار ، تألفت عينة الدراسة من (١٠٨) طلاب ، وطالبات من الصف السابع ، واخضعت النتائج لتحليل التباين الاحادي فظهر عدم وجود فروق دالة بين طريقة اوزبورن التقليدية ، وطريقة العصف الذهني من نوع التامل الفردي ذي الاتجاه الجماعي الشخصي التفاعل . (Kochery, 1996, p. 1)

(٣) دراسة الجبوري ، ٢٠٠٢م :

(اثر اسلوب الندوة في تحصيل طلاب الصف الخامس الادبي في مادة تفسير القرآن الكريم) . هدفت الدراسة التي اجريت في المعهد العربي العالي للدراسات التربوية والنفسية في بغداد ، وكان الهدف منها بيان فاعلية تدريس مادة تفسير القرآن الكريم بأسلوب الندوة في تحصيل طلاب الصف الخامس الادبي تالفت عينة الدراسة من (٤٩) طالبا

موزعين بين مجموعتين تجريبية وضابطة ، ولاختبار فرضية الدراسة اجرى الباحث اختبارا تحصيليا تالفت فقراته من (٤٠) فقرة ، وفي نهاية التجربة التي استمرت (١٤) اسبوعا عالج الباحث البيانات احصائيا باستعمال الاختبار التائي (t-test) لمجموعتين مستقلتين ثم خلصت الدراسة الى نتيجة مفادها وجود فرق ذي دلالة احصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين متوسطي تحصيل المجموعتين (التجريبية ، والضابطة) لمصلحة المجموعة التجريبية التي درست باسلوب الندوة .
(الجبوري ، ٢٠٠٢م ، ص ١ـ٩٤)

منهجية البحث واجراءته :

أولا: منهجية البحث

اعتمد الباحثان المنهج التجريبي ؛ لانه المنهج المناسب لتحقيق هدفي البحث الحالي .

ثانيا :ـ التصميم التجريبي

اعتمد الباحثان تصميم المجموعات العشوائية لمجموعتين تجريبيتين ومجموعة ضابطة وباختيار بعدي ، وشكل(١) يوضح ذلك :

شكل (١)

يوضح التصميم التجريبي للبحث

المجموعة	المتغير المستقل	المتغير التابع
التجريبية الأولى	أسلوب الندوة	١) التحصيل
التجريبية الثانية	أسلوب العصف الذهني	٢) الاستبقاء
الضابطة	الأسلوب التقليدي	

ويقصد بالمجموعة التجريبية الأولى : المجموعة التي تتعرض طالباتها للمتغير المستقل (تقديم الدرس على وفق أسلوب الندوة) ، وبالمجموعة التجريبية الثانية : المجموعة التي تتعرض طالباتها للمتغير المستقل (تقديم الدرس على وفق أسلوب العصف الذهني) ، وبالمجموعة الضابطة : المجموعة التي يدرس طالباتها على وفق الأسلوب التقليدي .

أما التحصيل فيقصد به المتغير التابع الأول ، ويقاس باختبار تحصيلي ويقصد بالاستبقاء المتغير التابع الثاني ، ويقاس باعادة تطبيق الاختبار التحصيلي .

ثالثا : مجتمع البحث وعينيته :

يتألف مجتمع البحث من طالبات الصف الرابع العام في المدارس الإعدادية والثانوية النهارية في مدينة بغداد واختار الباحثان بطريقة عشوائية المديرية العامة لتربية بغداد الكرخ الأولى من بين المديريات العامة الاربع الموجودة في بغداد ، وهي الكرخ الأولى والثانية ، والرصافة الأولى والثانية ، واختار الباحثان وحدة قضاء الكرخ / ناحية المركز بصورة عشوائية من بين ثماني وحدات ، ومن مدارس وحدة الكرخ / المركز اختار الباحثان ثانوية الحكمة للبنات لتكون عينة للمجتمع ، وفي هذه المدرسة ثلاث شعب للصف الرابع العام ، وقد وزع الباحثان الأساليب الثلاثة على الشعب الثلاث بصورة عشوائية فكان نصيب شعبة (ب) أسلوب الندوة ونصيب شعبة (أ) أسلوب العصف الذهني ، والاسلوب التقليدي كان من نصيب شعبة (ج) . وبلغ عدد طالبات الشعب الثلاث (٩٣) طالبة بواقع (٣١) طالبة في شعبة (أ) و (٣٢) طالبة في شعبة (ب) و (٣٠) طالبة في

شعبة (ج) ، ونظرا لعدم وجود طالبات راسبات في صفوفهن ، لذا خضعت طالبات الشعب الثلاث جميعهن للتجربة .

وقد كافا الباحثان قبل الشروع بالتجربة احصائيا في عدد من المتغيرات المهمة التي قد توثر في التحصيل الدراسي ، وهذه المتغيرات هي :

١ـ العمر الزمني للطالبات محسوبا بالشهور .

٢ـ درجات مادة التربية الإسلامية النهائية في الصف الثالث المتوسط للعام الدراسي السابق للتجربة ٢٠٠٢/٢٠٠٣م .

٣ـ الذكاء .

٤ـ التحصيل الدراسي للأب .

٥ـ التحصيل الدراسي للام .

فضلا عن ضبط المتغيرات الداخلية التي قد توثر في نتائج التجربة وذلك على النحو الاتي :

أ ـ جرى التدريس للمجموعات الثلاث في المدرسة نفسها .

ب ـ تدريس المجموعات في يوم واحد من الأسبوع .

ج ـ الحرص على حضور الطالبات في الدرس .

د ـ مدة التجربة موحدة بين مجموعات البحث الثلاث .

هـ ـ المادة الدراسية موحدة لمجموعات البحث الثلاث .

و ـ اداة القياس موحدة لمجموعات البحث الثلاث .

رابعا : صياغة الأهداف السلوكية :

اشتق الباحثان أهدافاً سلوكية لتدريس موضوعات التربية الإسلامية للصف الرابع العام ، وبلغ عدد الأهداف السلوكية بصيغتها الأولية (١٦٧) هدفا موزعاً بين المستويات الستة من المجال

المعرفي لتصنيف بلوم (المعرفة ، والفهم ، والتطبيــــق ، والتحليــل ، والتركيب ، والتقويم) .

وعرض الباحثان هذه الاهداف على مجموعـــة مـــن الخـــبراء المختصين بالعلوم الإسلامية والتربوية والنفسية ، وفي ضوء ملاحظاتهم حذف الباحثان (٤) أهداف ؛ لأنها لم تبلغ نسبة اتفـــاق (٨٠%) مـــن موافقة الخبراء ، وعدل الباحثان (٧) أهداف ســـلوكية فـــي صياغتـــها اللغوية ، وبذلك أصبح عدد الأهداف السلوكية بصيغتها النهائيــة (١٦٣) هدفا بواقع (٣٩) هدفا لمستوى المعرفة و (٣٨) هدفا لمستوى الفــــهم ، و(٣١) هدفا لمستوى التطبيق ، و (٢٠) هدفا لمستوى التحليــل و (١٨) هدفا لمستوى التركيب و (١٧) هدفا بمستوى التقويم .

خامسا :ــ إعداد الخطط الدراسية

لما كان أعداد الخطط التدريسية يعـــد واحـــدا مـــن متطلبـــات التدريس الناجح أعد الباحثان (٤٢) خطة تدريسية (١٤) خطة على وفق أسلوب الندوة ، و (١٤) خطة على وفق أســلوب العصـــف الذهنـــي ، و (١٤) خطة على وفق الأسلوب التقليدي .

وقد عرض الباحثان نماذج من هذه الخطط على مجموعة مـــن الخبراء ، وفي ضوء ما أبداه الخبراء أجرى الباحثان التعديلات اللازمة عليها ، وأصبحت جاهزة للتنفيذ .

سادسا : ــ إعداد الاختبار التحصيلي

إعداد جدول مواصفات الاختبار (الخريطة الاختبارية)

أعد الباحثان خريطة اختبارية شملت محتوى موضوعات كتاب التربية الإسلامية للصف الرابع العام ، والأهداف السلوكية المذكورة آنفا

وقد اعتمد الباحثان على إعداد الأهداف السلوكية في كل مستوى بحسب أهداف كل موضوع إلى العدد الكلي للأهداف .

وحدد الباحثان عدد الفقرات في كل مستوى من المستويات الستة للأهداف السلوكية من مجموع فقرات الاختبار بـ (٦٠) فقرة في ضوء عدد الفقرات الكلي ، والأهمية النسبية لمحتوى الموضوعات والأهمية النسبية لمستويات الأهداف السلوكية في الخريطة الاختبارية ، وجدول (١) يوضح ذلك .

جـدول (١)

الخريطة الاختبارية في ضوء الأهمية النسبية لمحتوى الموضوعات ، ومستويات الأهداف السلوكية

ت	الموضوعات	عدد صفحات كل موضوع	نسبة أهمية المحتوى	عدد مستويات الأهداف السلوكية						مجموع الأهداف السلوكية	عدد فقرات كل مستوى في الاختبار						مجموع فقرات الاختبار
				معرفة	فهم	تطبيق	تحليل	تركيب	تقويم		معرفة	فهم	تطبيق	تحليل	تركيب	تقويم	
١	الناجون يوم القيامة	٥	٩,٠٩	٣	٣	٢	٢	٢	٢	١٤	١	١	١	١	١	١	٦
٢	طرق النجاة	٥	٩,٠٩	٣	٣	٢	١	١	١	١١	١	١	١	١	١	١	٦
٣	المفلس في الآخرة	٥	٩,٠٩	٣	٣	٣	٢	٢	٢	١٥	١	١	١	١	١	١	٦
٤	حق الصديق والجار	٣	٥,٤٥	٣	٢	٢	٢	١	١	١١	١	١	١	-	-	-	٣
٥	اكبر الكبائر	٥	٩,٠٩	٣	٣	٣	١	١	١	١٢	١	١	١	١	١	١	٦
٦	رعاية اليتيم	٤	٧,٢٧	٣	٣	٢	٢	٢	٢	١٤	١	١	١	١	-	-	٤
٧	حسن الخلق	٤	٧,٢٧	٣	٣	٣	٢	١	١	١٣	١	١	١	١	-	-	٤
٨	الخطبة وآثارها	٤	٧,٢٠	٣	٣	٢	١	١	١	١١	١	١	١	١	-	-	٤
٩	الزواج وآثاره . وحقوق الزوجين. وواجباتهما	٤	٧,٢٧	٣	٣	٣	٢	٢	١	١٤	١	١	١	١	-	-	٤
١٠	حقوق الأولاد والأبوين	٢	٣,٦٣	٢	٢	٢	١	١	١	٩	١	١	-	-	-	-	٢
١١	انحلال الزواج (الطلاق)	٣	٥,٤٥	٣	٣	٢	١	١	١	١١	١	١	١	-	-	-	٣
١٢	الميراث	٣	٥,٤٥	٢	٢	٢	١	١	١	٩	١	١	١	-	-	-	٣
١٣	التكافل بين أعضاء الأسرة	٥	٩,٠٩	٣	٣	٢	١	١	١	١١	١	١	١	١	١	١	٦
١٤	أحكام الأسير في الإسلام	٣	٥,٤٥	٢	٢	١	١	١	١	٨	١	١	١	-	-	.	٣
	المجمـوع	٥٥	%١٠٠	٣٩	٣٨	٣١	٢٠	١٨	١٧	١٦٣	١٤	١٤	١٣	٩	٥	٥	٦٠
	نسبة أهمية مستويات الأهداف السلوكية			٪٢٢,٩	٪٢٢,٢	٪١٩	٪١٢,٣	٪١١	٪١٠,٥								

صياغة فقرات الاختبار :

صاغ الباحثان فقرات الاختبار التحصيلي التي تقيس المستويات الأربعة الأولى من تصنيف بلوم من النـــوع الموضوعـــي ، واختـــار الباحثان منها نوعين : النوع الأول الاختيار من متعدد والنوع الآخـــر اختبار التكميل .أما الفقرات التي تقيس المستويين الخامس والسادس في المجال المعرفي لتصنيف بلوم (التركيب والتقويم) فقد كانت صياغتها بفقرات اختبارية مقالية .

لذا بلغ عدد فقرات الاختبار بصيغته الأولية (٦٩) فقرة وعرض الباحثان فقرات الاختبار مع الاهداف السلوكية ومحتوى المـــادة علـــى مجموعة من الخبراء ، وفي ضوء ملاحظاتهم عدل الباحثان عددا مـــن الفقرات في صياغتها اللغوية ، وحذفا الفقرات التســع التـــي وضعـــها الباحثان زيادة على الستين فقرة للتعويض عن الحذف الذي قد يحـــدث في حال حصول عدد من الفقرات على تأييد اقل من (١٦) خبيرا ، وقد وجد الباحثان ان الفقرات جميعها حصلت علي تأييد ما لا يقـــل عـــن (١٨) خبيرا ، وبناء على ما تقدم اعتمد الباحثان (٦٠) فقرة فقط فـــي ضوء الخارطة الاختبارية .

التجربة الاستطلاعية : ـ

طبق الباحثان الاختبار على عينة استطلاعية تألفت مـــن (٣٢) طالبة من طالبات الصف الرابع العام في اعدادية الكرخ للبنات في يـوم الثلاثاء ٢٠٠٤/٣/٢٣ . وبعد تطبيق الاختبـــار اتضـــح ان التعليمـــات واضحة ، والفقرات كذلك ، واتضح ان الوقت الذي استغرق في الاجابة عن فقراته جميعها كان بين (٥٠ ـ ٦٥) دقيقة ، وبعد حساب متوســـط الوقت تبين ان الزمن المناسب لانجاز الاجابة هو (٥٧،٥) دقيقة .

التحليل الإحصائي لفقرات الاختبار : ــ

وقد حلل الباحثان فقرات الاختبار تحليلا احصائيا ، وحسبا مستوى صعوبة كل فقرة من فقرات الاختبار ، ووجدا إنها كانت تتراوح بين (٠,٣٠) و (٠,٧٥) ، فضلا عن ذلك فقد حسبا قوة تمييز كل فقرة من فقرات الاختبار ووجدا ان اقلها كانت بنسبة (٠,٣٧) ، وهذا يعني أن فقرات الأختبار تميز بين المجموعتين العليا والدنيا في تحصيلهم الدراسي . وكذلك حسب الباحثان فعالية البدائل غير الصحيحة وكانت تتراوح بين (ــ ٠,١٠) ، (ــ٠,٢٥) وهذا يعني أن البدائل غير الصحيحة قد جذبت اليها عددا من طالبات المجموعة الدنيا اكبر من طالبات المجموعة العليا ، وبناء على ذلك أبقى الباحثان على البدائل غير الصحيحة على ما هي عليه من دون تغيير .

صدق الاختبار : ــ من اجل التحقق من صدق الاختبار ، وجعله محققا للأهداف التي وضع من اجلها اعتمد الباحثان .

١ــ **صدق المحتوى :** ــ ويعد بناء الخارطة الاختبارية مؤشرا من مؤشرات صدق المحتوى ، وبذلك يكون الباحثان قد حققا هذا الصدق فضلا عن فحص الخبراء الفقرات منطقيا .

٢ــ **صدق البناء :** تحقق الباحثان من صدق البناء من خلال استخراج معاملات الصعوبة والتمييز التي كانت جميعها مناسبة ومتسقة .

ثبات الاختبار : حسب الباحثان ثبات الاختبار باستعمال طريقة التجزئة النصفية اذ قسما فقرات الاختبار الى قسمين : القسم الأول ضم الفقرات الفردية ، والقسم الآخر ضم الفقرات الزوجية وحسبا

معامل الارتباط بين قسمي الاختبار باستعمال معامل ارتباط بيرسون فبلغ (٧٤ , ٠) ثم صححاه بمعادلة سبيرمان براون فبلغ معامل ثبات الاختبار (٨٥ , ٠) .

ثبات التصحيح : ــ اختار الباحثان (١٠٠) طالبة من طالبات العينة الاستطلاعية البالغ عددها (٣٠٠) طالبة واستعملا نوع من الاتفاق هو الاتفاق بين مصححتين(*) وباستعمال معامل ارتباط بيرسون بينهما وجد الباحثان ان معامل الارتباط (٨٣ , ٠) .

سابعا : تطبيق التجربة

١ــ بدأت التجربة في يوم الأربعاء الموافق ١٠/١٢/٢٠٠٣ ، وانتهت في ٢٨/٤/ ٢٠٠٤ وكانت كل مجموعة تدرس حصة اسبوعياً .

٢ــ درست الباحثة الثانية في هذا البحث مجموعات البحث الثلاث على وفق الخطط التدريسية ، بحيث درست مجموعة أسلوب الندوة بالخطوات الآتية : ــ التمهيد ، والعرض بخطوتين وهما قراءة الحديث والشرح بأسلوب الندوة ، بحيث تجلس رئيسة الندوة (الباحثة) مع خمس من طالبات الصف على شكل نصف دائرة امام الطالبات ، وقد قسم الموضوع عليهن في درس سابق ، وتبدأ أحدى الطالبات باحد المحاور ، وتكمل اخرى ، وتعقب أخرى ، وهكذا حتى ينتهي العرض ، وبعدها تأتي خطوة التقويم الختامي وفيها توجه رئيسة الندوة عددا من الاسئلة للطالبات ، واخيرا تحديد الواجب البيتي . اما المجموعة التي درست على وفق أسلوب العصف الذهني فقد درستها الباحثة بالخطوات الاتية : ، التمهيد ،

(*) المصححتان هما الباحثة ، والمدرسة ابتسام زكي عبد الصاحب .

وقراءة الحديث ، وتوضيح المشكلة ، وتوزيع الطالبات الى خمس مجموعات بحيث تقدم كل مجموعة الافكار الجديدة والعديدة وتقسم السبورة الى خمسة اقسام لكل مجموعة قسم تسجل عليه اجابات تلك المجموعة ، وعرض المشكلة على نحو سؤال توجهه الباحثة ، وتبدأ عملية إجابات الطالبات مع تسجيلها ، وتشجيعهن ، وتوجه الباحثة المجموعة لتعديل افكارهن ، وبعدها تسحب الاجابات والافكار لغرض المنافسة بين المجموعات ، وفي الختام التقويم الختامي وتحديد الواجب البيتي . أما المجموعة الثالثة فقد درستها على وفق الاسلوب التقليدي بالخطوات الاتية :ـ التمهيد ، وقراءة الحديث ، والشرح ، والتقويم الختامي وتحديد الواجب البيتي .

ثامنا : ـ الوسائل الإحصائية

وبعد تطبيق التجربة استعمل الباحثان في إجراءات بحثهما وتحليل النتائج الوسائل الإحصائية الآتية : ـ تحليل التباين الاحادي ، ومربع (كا)^{٢} ، ومعامل ارتباط بيرسون ، ومعامل سبيرمان ـ براون ، وطريقة شيفية ، فضلا عن معادلات صعوبة الفقرات وتمييزها .

نتائج البحث : ـ

بعد تصحيح إجابات مجموعات البحث الثلاث أسفرت النتائج الآتية : ـ

ـ عند استعمال تحليل التباين الأحادي لمعرفة فيما إذا كانت الفروق ذات دلالة إحصائية بين مجموعات البحث الثلاث في الاختبار التحصيلي ، واستبقائه ، تبين وجود فرق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات درجات مجموعات البحث الثلاث في الاختبار التحصيلي

اذ بلغت النسبة الفائية المحسوبة (٨٠٨ , ٣) وهي اكبر من النسبة الفائية الجدولية التي تساوي (١١١ , ٣) عند مستوى دلالة (٠,٠٥) وبدرجة حرية (٢ , ٩٠) وكذلك في اختبار الاستبقاء بالتحصيل اذ بلغت النسبة الفائية المحسوبة (٦٦٨ , ٥) وهي اكبر من النسبة الفائية الجدولية التي تساوي (٨٨٢ , ٤) عند مستوى دلالة (٠,٠١) وبدرجة حرية (٢،٩٠) ، وباستعمال طريقة شيفية تبين : ـ

١) وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين اسلوب الندوة ، والاسلوب التقليدي في التحصيل لمصلحة اسلوب الندوة ، وعند مستوى دلالة (٠,٠١) في الاستبقاء بالتحصيل لمصلحة اسلوب الندوة .

٢) عدم وجود فرق ذي دلالة إحصائية عند مستوى دلالة (٠,٠٥) بين اسلوب العصف الذهني ، والأسلوب التقليدي في التحصيل . واستبقائه .

٣) عدم وجود فرق ذي دلالة احصائية عند مستوى (٠,٠٥) بين أسلوبي الندوة ، والعصف الذهني في التحصيل ، واستبقائه .

الاستنتاجات :

بناء على النتائج التي توصل اليها البحث الحالي يمكن الباحثان استنتاج ما ياتي :

١) إن اعتماد اسلوب الندوة في تدريس مادة التربية الاسلامية يجعل تحصيل طالبات الصف الرابع العام في مادة التربية الإسلامية افضل من تحصيلهن باعتماد الاسلوب التقليدي .

٢)صحة ما تذهب اليه الادبيات في تاكيدها ان اسلوب الندوة من الاساليب الفعالة في التدريس .

٣) لايمكن الحكم على افضلية طريقة او أسلوب في ضوء حداثتهما ، اذ ليس كل اسلوب حديث يرفع من تحصيل الطالبات ، او استبقائهن به .

٤) ان اعتماد اسلوب الندوة في تدريس التربية الإسلامية يجعل الاستبقاء بالتحصيل مدة اطول لدى طالبات الصف الرابع العام في مادة التربية الاسلامية ، ومن ثم سهولة استرجاعه ، واستذكاره على نحو افضل من الاسلوب التقليدي .

٥) إن التدريس باستعمال أسلوبي الندوة ، والعصف الذهني يمنح المدرس اثرا جديدا بعيدا عن الإلقاء ؛ لانهما يركزان على الطالب وجهده في العملية التعليمية فهو يشرح ، ويسال ، ويجيب ويناقش ، بحيث يستثمر الجزء الاكبر من زمن الدرس .

التوصيات : ـ

اوصى الباحثان بضرورة اعتماد أسلوب الندوة في تدريس التربية الاسلامية للصف الرابع العام ، وتأكيد المشرفين التربويين أهمية استعمال هذا الأسلوب في أثناء زياراتهم الميدانية لمدرسي التربية الإسلامية ، ومدرساتها . فضلا عن تضمين مناهج كليات العلوم الاسلامية مادة طرائق التدريس مع اقامة دورات لمدرسي التربية الاسلامية من خريجي هذه الكليات لتعريفهم باسلوب الندوة ، فضلا عن الطرائق والأساليب الاخرى الفاعلة في التدريس .

المقترحات : ــ

اقترح الباحثان ما يأتي:

١ــ اجراء دراسة تتناول اثر اسلوب الندوة في متغيرات أخرى نحو (تنمية الثقة بالنفس ، أو تنمية التفكير الناقد ، أو تنمية اتجاهات الطلبة نحو مادة التربية الإسلامية) ولمراحل دراسية مختلفة .

٢ــ دراسة لمعرفة أثر اسلوب العصف الذهني باستعمال تقنية الحاسوب في تحصيل الطلبة في مادة التربية الاسلامية ، ولمراحل دراسية مختلفة .

٣ــ دراسة وصفية لمعرفة الاهتمام ، والميل في المواقف التعليمية باستعمال جلسات العصف الذهني .

المصـــــادر

١ــ ابو جادو ، صالح محمــد علــي علــم النفــس الــتربوي ، ط٣، عمان ــ الأردن ، دار المسيرة ،٢٠٠٣م .

٢ــ اقلانية ، المكي . النظم التعليمية عنـــد المحدثيـن فـــي القـــرون الثلاثة الأولى ، كتـــاب الأمـــة ، ط١، قطـــر ، وزارة الأوقـــاف والشؤون الإسلامية ، د ت .

٣ــ بدوي ، احمد زكي . معجم مصطلحات التربية والتعليم ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٨٠م .

٤ــ جامل ، عبد الرحمن عبد السلام . طرق التدريس العامة ومهارات تنفيـذ وتخطيـــط عمليـــة التدريـــس ، ط٢ ، عمـــان ــ الاردن ، دار المناهج ، ٢٠٠٠م .

٥ــ الجبوري ، طه ياسين خضير . اثر أسلوب الندوة فـــي تحصيـــل طلاب الصف الخامس الأدبي في مادة تفســير القــرآن الكريــم ، المعهد العربي العالي للدراسات التربوية والنفسية، بغداد ، ٢٠٠٢م. (رسالة ماجستير غير منشورة) .

٦ــ جمهورية العـــراق ، مركـــز البحـــوث والدراســـات التربويـــة . الوقائع الكاملة للندوة العلمية ، اتجاهات ومؤشرات القطاع التربوي، بغداد ،١٩٩٢م .

٧ــ الحصري ، علي منير ويوسف العنيزي . طرق التدريس العامـــة . ط١ ، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ٢٠٠٠م .

٨ــ الخوالدة ، ناصر احمد ، ويحيى إسماعيل عبد . طرائق تدريـــس التربية الإسلامية وأساليبها وتطبيقاتها العلمية ، ط١، عمان الاردن، دار حنين ، ٢٠٠١م .

٩ــ رزوق اسعد ، وعبد الله عبد الدائم . موسوعة علم النفس، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٧٧م .

١٠ــ الشبلي ، إبراهيم مهدي . التعليم الفعال والتعلم الفعال ، الأردن ، دار الأمل ، ٢٠٠٠م .

١١ــ شحاته ، حسن ، وعبد الله الكندي . تعليم التربية الإسلامية في العالم العربي ، ط١، الكويت ، مكتبة الفلاح ، ١٩٩٣م .

١٢ــ علام ، صلاح الدين محمود . القياس والتقويم التربوي والنفسي أساسياته وتطبيقاته وتوجيهاته المعاصرة ، ط١ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ٢٠٠٠م .

١٣ــ قطامي ، نايفة ، واخرون . التفكير الإبداعي ، ط١ عمان ، منشورات جامعة القدس المفتوحة ، ١٩٩٥م .

١٤ــ قطامي ، يوسف ، واخرون . تصميم التدريس ، ط١، عمان ــ الاردن ، دار الفكر ، ٢٠٠م .

١٥ــ الكبيسي ، وهيب مجيد ، وصالح حسين الداهري . المدخل في علم النفس التربوي ، ط١، دار الكندي ،٢٠٠٠م .

١٦ــ كراجة ، عبد القادر . القياس والتقويم في علم النفس ((رؤية جديدة)) ، ط ، عمان ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧م .

١٧ــ مجموعة باحثين . بيت الحكمة العباسي عراقة الماضي ورؤية الحاضر ، المجلد الثاني ، ابحاث الاحتفالية المئوية الثانية عشر على تاسيسه في بغداد ١٢٠٠ عام ، ط١ مطبعة المثنى ، بغداد ، الناشر بيت الحكمة ، ٢٠٠١م .

١٨ـ محمد ، داود ماهر ، ومجيد مهدي محمد . أساسيات في طرائـق التدريس العامة ، دار الحكمة ، جامعة الموصل ، ١٩٩١م .

١٩ـ مدكور ، علي احمد . مناهج التربية ، اسسها وتطبيقاتـها ، ط١ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٩٨م .

٢٠ـ الوائلي ، سعاد عبد الكريم عباس . اثر أسلوب الندوة في تحصيل طالبات الصف الخامس الأدبي فـــي مــادة الأدب والنصــوص . جامعة بغداد / كلية التربية ــ ابـــن رشـــد ، ١٩٩٦م ، (رســالة ماجستير غير منشورة) .

21-Good, Carter V., Dictionary of Education, 3rd ed. New York : Mgraw- Hill 193.

22-Kochery, Tim, Inh: bitions within idea Generating Groups: An Alternative Method of Brainstorming, Proceeding of selected research and deveiopment presentations at the 1996 National Convention of the association for educational communications and technology, 1996, ED 397 806.

شعر السياب في ضوء نظرية الأدب المهموس

ـ القسم الأول ـ

الدكتـــور

د.بير صالح القرغولي

الجامعة الإسلامية

الملخص :

في حياة بدر شاكر السياب ، وفي شعره كثير من الشواهد على رسوخ روح شفافة رقيقة ،هي نمط ذو شأن للروح الإنسانية الســامية ، التي تمثل القاعدة الأخلاقية لنظرية الأدب المهموس .

أما ما يتعلق بحياته ، فقد رصدت دراسات كثيرة / وأمــا مــا يتعلق بشعره فإن البحث سيرصد الخصائص التي تتعلق بجرس الكلمات أو الانغام ، ولغة الحب ، والإحساس الصادق بالجمال ، وهي عنــاصر نظرية الأدب المهموس للدكتور محمد مندور .

وقف الباحث عند عدد من قصائد الشــاعر ، توافــرت فيــها خصائص الهمس ، درس كـــلاً منــها فــي ســياق النــص العــام ، وبيّن ارتباطها به ودورها في التعبير عن التجربـــة الشــعورية التــي تمثل قاعدة له .

وحين تتوافر القناعة بصلاحية الخصائص المشـــخّصة لتــأكيد سمة الهمس في شعر السياب ، سيمكننا القول إن هـــذا البحـــث يمثــل إضافة متواضعة إلى نظرية الهمس ، إذ سلط أضواءها على مســـاحة أخرى من عالم الأدب العربي ، غير بيئة المهجر التي حـــط الاســتاذ الدكتور مندور عندها رحاله .

أبدع الدكتور محمد مندور فكرة الأدب المهموس ، التي تستحق بجدارة أن تُسمى نظرية[1] ، وهو يلتمس صورة للادب (الذي سلم من الروح الخطابية التي غلبت على شعرنا التقليدي منذ المتنبي)[2] . وفي يقينه أنّ صورة هذا الأدب المنشود تنطلق من عالم المهجر . لذا فقد قام بتحليل عدد من نماذجه ، على وفق خصائص ، هداه إليها حسه الفني ، جاعلاً إياها أسساً لنظريته . وهي الأنغام ، ولغة الحب ، والإحساس الصادق بالجمال .[3]

الهمس ظاهرة فنية تسم النص الأدبي ، منطلقة من ذات المبدع ، لذا لا يمكن تجاوزه في دراستها ، وعزله عن النص ، أو عزل النص عنه ، والنظر اليه منفرداً . وهو في ذات المبدع يعني

---

[1] إن إرساء الأصول والقواعد لأية فكرة يمكن أن ينتقل بها الى مستوى النظرية ؛ بغض النظر عما يدور حولها من ردود أفعال .

نظرية الحروف العاملة ، د. هادي عطية مطر : ينظر ١١ . ط١، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م .

وإن (الفكرة التي تستحق اسم نظرية هي ما كان لصاحبها فضل عرضها ، وتحقيقها ، وتعليلها ، واستقراء أمثلتها ، وإزالة ما يعرض لها من شبهات ومحاولة تطبيقها في ميدان الدراسة الخاصة) . وهذا الرأي هو للدكتور محمد أحمد خلف الله من بحث له في تقويم كتاب (أسرار البلاغة) لعبد القاهر الجرجاني . وقد أشار إليه سيد قطب في كتابه : النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه : ١٩٧ . ط٢ ، دار الفكر العربي ، مصر ١٩٥٤ .

[2] في الميزان الجديد ، د. محمد مندور : ٨٦ .

دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة ١٩٧٧م .

[3] المصدر نفسه : ينظر ١٠٦ .

(التهذيب والنفس المصقولة المتواضعة الخالية من الإدعـــاء والحـدّة والغرور . الهمس هو الرقة والتسامح) .(٤)

أذكت النماذج الأدبية التي اختارها الدكتور مندور مـن عـالم المهجر سجاياه المرهفة ، فجاءت دراسته مفعمة بأريج روحه الرقيقـة الشفافة . ولعلنا لا نغالي حين نقول : إن تحليله لهذه النمـاذج لا يقِلّ همساً عنها . وهذه ببساطة هي حقيقة النقد الأصيل . إنه حالـة خلـق ثانية للنص ، لا تقل أهمية عن حالة الخلق الأولى ، التي استو قضـت الناقد . وإنه (في أفضل حالاته ، عملية إبداع يحركها إبداع آخر) .(٥)

لا شك في أن النماذج التي اختارها الدكتـور منـدور صـور صادقة لروح الهمس ؛ غير أنّ المتأمل المتأني سيجد أن هـذه الـروح ليست مقصورة على الأدب المهجري ؛ ففي الأدب العربـي ، قديمـة وحديثة أمثلة تصلح لحمل هذه السمة . وكان بين يدي الدكتور مندور ، وتحت أنظاره شواهد ، حللها بالروح وبالمقاييس التي تعامل بـها مـع الأدب المهجري ، ولكنه أحجم عن وصفها بالـهمس ، وكأنـه اكتفـى بالنتائج التي توصل إليها ، معتقداً أن التوسع في البحث لن يقدم جديـداً للفكرة ، ولن يثري عالم الأدب . ولكنا نرى ــ وقد سبقنا الى ما نـراه أساتذة أفاضل ــ أن في رحاب الأدب العربي مجالات واسعة ، يمكـن النظر إليها على هدى هذه النظرية .

---

(٤) أدباء معاصرون ، رجاء النقاش : ٨٤

دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .

(٥) الفن والحلم والفعل ، جبرا ابراهيم جبرا : ٢١٤

دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٦ .

يقول الناقد رجاء النقاش : (وفي اعتقادي أن دعوة الهمس في الأدب لم تأخذ حقها كما يجب حتى الآن ، في حياتنا الأدبية وحياتنا العامة . فهي دعوة أصيلة ، وإن كانت قديمة . والأدب العربي المعاصر بحاجة إلى أن يعي هذه الدعوة وعياً صحيحاً ، ويستفيد منها . إنها حقا دعوة بسيطة ، ولكنها أساسية إلى أبعد الحدود ، ونحن محتاجون إلى أن نأخذ بها في أمور الحياة الأخرى).[٦]

لقد شهد عقد الثلاثينيات من القرن العشرين ولادة أكبر قدر من الشعر الذي يحمل خصائص الهمس ؛ خارج عالم المهجر، موطن الهمس كما يراه الدكتور مندور . وقد ارتبط هذا النمط من الشعر بأسماء أغلب شعراء مدرسة أبوللو ، وإن لم يقتصر إبداعه عليهم . ويكفي النظر إلى شعر الدكتور أحمد زكي أبو شادي والشاعر محمد عبد المعطي الهمشري والشاعر أبي القاسم الشابي ؛ لتأكيد شيوع الهمس في الشعر العربي الحديث . (وحين بدأ جيل السياب يقرأ الشعر ويكتبه كان شعر الرومانسية العربية ، ممثلاً في أغلب شعر الشابي وعلي محمود طه وابراهيم ناجي وجماعة أبوللو وشعر المهجر هو النموذج الأعلى الذي كان يطمح شباب ذلك الجيل أن يحاكيه وينضوي تحت لوائه) .[٧]

إن في حياة بدر شاكر السياب ، وفي شعره الكثير مما ينبيء ويوحي بثروة وفيرة من الهمس ، عاطفة متأججة ، يذكيها الحرمان والألم ، قلب كبير فيه فسحة تتسع لمعاناة الآخرين ، دماثة ورقة ، روح

---

[٦] أدباء معاصرون : ٨٤ .

[٧] السياب ، عبد الجبار عباس : ٢١ .
دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٢م .

تنفعل بالجمال وتعشقه ، نتنسمه ، ثم تعيد صياغته شعراً ، غني الدلالة شجي النغم . ولا يرتبط الهمس عند السياب بمراحل تطوره الشعري ، سواء في جانب الصياغة ، أو المضمون . وإن همسه غير ذي صلة بموقف فكري ، بل هو أبعد ما يكون عن المواقف الفكرية إنه وليد الفطرة والعفوية والبراءة . لقد اقترنت البراءة في نفس السياب بالحب ، فكان الهمس . كان بدر يقول (عن نفسه إنه في حالة حب دائماً ، ولا فرق لديه إنْ كان الحب جديداً أو قديماً أو معاداً . فما أنْ يبدأ قصيدة . أياً كان موضوعها حتى تجده ينساق إلى الغزل واستعادة ذكرياته مع الحبيبة دونما رابطة نفسية عميقة ، بل حتى دون تمهيد مصطنع ، تتم عبره هذه النقلة . حدث هذا في قصيدة ((السوق القديم)) وحدث في قصيدة ((رئة تتمزق))[٨] تعبر القصيدة الاخيرة ــ رئة تتمزق ــ عن احساس الشاعر بدنوّ أجله ، فمنذ المقطع الأول تبدو النهاية المبكرة المحتومة شاخصة أمام الأنظار ، ممثلة في صورة القبر . وعلى الرغم من ذلك فإن في القصيدة متسعاً لعرض وقع هذا الحصير على نفس الشاعر ، الذي بدا للوهلة آسفاً على عمر ينقضي سريعاً ، وكان يمكن له أن يبشِّر بخير . ثم يتطور موقفه من رفض الإذعان لهذا القدر ، الى التشبث بالحياة ، لأن أملاً أشرق في حياته ، فتنقشع غمامة الكآبة ، وتكتسي الموجودات ألوانها الحقيقية . يفيق الشاعر من ذهول الصدمة ليمتلك قراره من جديد ، بالدفاع عن حقه في الحياة ، وفي الحب . وتعود الابتسامة الى شفتين ما يزال الذبول مرتسماً عليهما ، وإن كان شبح الموت ما يزال ماثلاً ، يتربص بالشاعر .

---

[٨] المصدر نفسه : ٣٥

تبدأ القصيدة بهذا المقطع :

الداء يثلج راحتي ، ويطفيء الغد في خيالي
ويشلّ أنفاسي ويطلقها كأنفاس الذبالِ
تهتز في رئتين يرقص فيهما شبح الزوالِ
مشدودتين إلى ظلام القبر بالدم والسعالِ[٩]

لغة هذا المقطع زاخرة بالدلالات المبثوثة في عدد من الجمل الفعلية التي يجمعها رباط محكم ؛ يساعد على تناسق الصورة ونمائها ووضوحها . إن أغلب أفعال المقطع ناتج عن فاعل واحد ، فالداء – أساس الفكرة – يثلج الراحة ، ويطفيء الغد ، ويشلّ الانفاس ويطلقها.

تثير هذه الأفعال في النفس للوهلة إحساساً بالبهجة ، قبل أن تتفتح دلالاتها في الوجدان ، وتستقر معبرّة عن معنى السياق . فالفعل (يثلج) يوحي بإحساس بالإنتعاش والحيوية . وما أقرب التركيب المألوف البهيج (أثلج صدري) من نفوسنا ! ولا شك في أن شيئاً من هذا الانتعاش سيعلق بالذاكرة ، حتى بعد أن تفاجأ النفس بمعنى التركيب (يثلج راحتي) ، وما فيه من رسوخ دلالة لفظة الداء . والأمر نفسه يصحب الفعل (يطفيء) ، وما يشيعه من إحساس بالأمان والطمأنينة ، لما يكمن في النفس من رعب ، تثيره صورة النار ، التي هي من ظلال لفظة يطفيء . وعلى الرغم من هذا فإن المرارة في التركيب (يطفيء الغد في خيالي) أقل منها في التركيب السابق (يثلج راحتي) .

---

[٩] ديوان بدر شاكر السياب : ٤٢
دار العودة ، بيروت ١٩٧١م .

ولعل هذا عائد الى ميزة الاستخدام المجازي ، وماله من أثر في إضفاء مسحة من الجمال على اللغة .

وقد يبدو على الفعل (يشلّ) تمرد على هـــذا الاســـلوب فـــي التماس الدلالات ؛ إذ ليس من احتمال آخر فيه لدلالـــةٍ غـــير دلالتـــه الشائعة . ولكننا نعتقد أن ما يجعله صالحاً لتقبل هذا الأسلوب ، هـــو أن الإحساس بالانقباض سرعان ما يتلاشى بتأثير الفعل المعطوف عليـــه (ويطلقها) ؛ فكأنه الفرج بعد الشدة . زيادة على شفافية الشين ورقـــة اللام ، مشفوعتين بالوداعة التي يوحي بها السين فـــي (أنفاســـي) . وتؤدي الصور اللاحقة بشكل سلس واقعي إلى النتيجة المُنْتَظــرة بعـــد إطلاق لفظة الداء ؛ وهي ظلام القبر .

تتصدر المقطع الثاني لفظة التحسر (واحسرتا) ، لتضفي على المقطع كله شحنة عاطفية بزخم كبير . ثم يعقبها تساؤل مُر ، يســـتنكر المصير الفاجع (أكذا أموت ؟) . إن لدى الشاعر يقيناً بـــالغبن الـــذي ألحقته به الأقدار ، حين ابتلته بالداء الشاخص في المقطع الأول ، يقينـــاً يحاول أن ينقله الى وجدان المتلقي ، بعرض الحالة التي كان عليها قبل أن ينتهك ذلك الداء حرماته :

واحسرتا ! أكذا أموت ؟ كما يجف ندى الصباح
ما كاد يلمـــع بين أخـــواف الزنابق والاقاحـــي
فتضوع أنفـــاس الربيع تهـــز أفيـــاء الدوالـــي
حتى تلاشى في الهـــواء كانـــه خفق الجنـــاحِ[١٠]

---

[١٠] نفســـه

أي تعبير عن الرحيل المبكر أكثر رقة من هذا التعبير ؟!
وأية روح تستعصي على تيار السحر هذا أن يمتلكها ؟ قطرات ندى تترجرج بتأثير نسمات الصباح ، وعبير الأزهار يعبق في المكان ، ثم تشرق الشمس ، فيختفي هذا الجمال سريعاً .

هيأ الشاعر لعرض هذه الصورة عدداً من الألفاظ ، اختارها بعناية ،فإن للفظتي (الصباحِ) و (الأقاحي) صلة بأجواء هذا المقطع ، ودوراً في إذكاء الجو النفسي المهيمن عليه ، من خلال تكرار حرف الحاء ، الذي ذهب النقاد المحدثون مذاهب شتى في تشخيص دلالته ــ شأنهم مع الحروف الاخرى ــ ؛ ودوره في تعزيز دلالة السياق من خلال جرسه . فمنهم من يراه موحياً بالاستبشار ؛ ومنهم من يراه مقترناً بمشاعر الحزن والألَم.[١١] وإلى أي رأي من هذين الرأيين نظرنا؛ وجدناه ملائماً لما في المقطع من أجواء مبهمة ، يتداخل فيها الأسى والرقة والحزن النبيل . ولكننا نقول إن الشيء المميز واللافت هو اختيار الشاعر حركة الكسرة للحاء ؛ المسبوقة في الشطرين بحرف الألف ، الليّن بامتداده المنظم ، ليشكلا نغماً هادئاً فيه عذوبة ملموسة ، عززت جو الاستبشار ، الذي يسعى الشاعر الى إشاعته في جزء من الصورة ؛ من أجل استمالة المتلقي للتعاطف مع الشاب الموشك على الرحيل الأبدي .

ولا ينطبق ما قلناه على لفظة (الجناح) الواردة في الشطر الأخير من المقطع ؛ وهو (كأنه خفق الجناحِ) ، غير ان للفظة الجناح

---

[١١] البلاغة العربية ، دز ناصر حلاوي ، د. طالب محمد الزوبعي : ينظر ١٣٢
كلية التربية الأولى ، بغداد ١٤١١هـ / ١٩٩١م
(كتاب منهجي مقرر لتدريس طلبة البكالوريوس) .

دلالة مميزة في عالم السياب الشعري ، تضمن تحقيق التناسق الفني في المقطع . هذه الدلالة هي الرحيل ، الذي يرمز الى الموت أحياناً كثيرة.

وفي لغة القصيدة سمة أخرى تؤكد الهمس ، فهي في ألفاظها ومعانيها ، وفي العلاقات القائمة بينها لغة حب أنضجه لهيب المعاناة ، وطول السهاد ، وفاجعة المصير المرتقب :

سمراء يا نجماً تألق في سمائي .. أبغضيني
واقسي عليّ .. ولا ترقّي للشكاة وعذبيني
خلّي احتقاراً في العيون ، وقطّبي تلك الشفاها
فالداء في صدري تحفّز لا فتراسك في عيوني[١٢]

ليس متاحاً لنا دائماً أن نرى خطاب عاشق مثل الذي رأيناه ، أبغضيني ، اقسي عليّ ، لا ترقّي للشكاة ، عذبيني ... ما أشدّ غرابة هذه التراكيب والأفعال ، حين نوازنها بما في ديوان العشق العربي المليء بعبارات الود الرقيقة الحالمة ، الزاخرة بالتودد والترقب ، الداعية الى الوصال ! ليس سهلاً أن يصرّح عاشق بمثل هذا الخطاب . لابد أن هناك سبباً ودافعاً قوياً إلى هذا الموقف . ونجد السر في المقطع نفسه :

فالداء في صدري تحفز لافتراسك في عيوني

إنه الإشفاق إذن .. لقد أشفق عليها من أن يطالها الالم الذي يحتوي بناره المتأججة بين الضلوع ؛ لذا فقد أحلّها عينيه ، بدلاً من قلبه ، ليبعدها عن موطن الداء الذي لم يكتفِ بتمزيق صدره ، بل تحفز ليجهز على أحلامه وأمانيه :

---

[١٢] الديوان : ٤٤ــ ٤٥

يااللنهايـــة حيــن تُـســدل هــذه الرئــة الأكيــلُ
بين السعال ، على الدماء ، فيختم الفصل الطويلُ
والحفرة السوداء تفغــر ، بانطفاء النور ، فاهــا
إني أخاف .. أخاف من شبح تخبئه الفصول[١٣]

إن النظر الى القاعدة الأخلاقيـــة التـــي ينطلـــق منـــها الأدب المهموس ، والى تقويم النظرية ، وربطها برقيّ المبدع وسمو إنسانيته ، كل هذا يدفعنا الى القول ـــ بتواضـــع دائـــم ـــ إن ثمـــة خصيصتيـــن أخريين ، يمكـــن أنْ تُـــزادا علـــى خصـــائص النظريـــة الثـــلاث ، التـــي أشـــار اليـــها مبدعـــها الدكتـــور منـــدور . الأولـــى هـــي : العفوية فـــي التعبـــير ، أو الفِطـــرة ، أي أن يعـــبر الإنســـان عـــن مكنونات نفســـه ، كمـــا هـــي ، بـــلا رتـــوش ، أو تزويـــق . أو أن يفصح عـــن أحاسيســـه ومشـــاعره الفطريـــة ، خـــالي البـــال مـــن احتمال المحاجة والنقاش ، والمجابهة بأسئلة مثل كيف ، أو لماذا .

ولعلنا سنســـمع ســـائلاً يســـأل عـــن صلاحيـــة الشـــعر لأن يوصـــف بـــالفطرة . وســـيكون الجـــواب بالإيجـــــاب ، وعلـــــى لســـان الاســـتاذ عبـــاس محمـــود العقـــاد ، وهـــو يصـــف شـــعراء القرن الـــــهجري الأول ، والذيـــن ســـبقوهم قـــائلاً : (وهـــم علـــى الإجمال فطريون في هذه الصناعة ، لهم مزايا الفطرة وعيوبـــها فـــي آن ، ولا ســـيما العيـــوب التـــي لـــها اتصـــــال بكـــل صناعـــة من الصناعات .

---

(١٣) الديوان : ٤٦

ومن مزايا الفطرة الصدق والبساطة وقــــرب الأداء ..) .[١٤]
تنطبق هذه الخصيصة على الكثير من نماذج الشعر العربـــي ، قديمـــه وحديثة . ولهذه القصيدة منها نصيب . يخاطب الشاعر الموت بقوله :

يا موتُ .. ياربَّ المخاوفِ والدياميس الضريـــره
اليوم تأتي ؟ من دعاك ؟ ومن أرادك أن تزوره ؟
أنا مـــا دعوتـــك أيهـــا القاسي فتحرمني هواهـــا
دعني أعيش على ابتسامتها ، وإن كانت قصيرة[١٥]

ليس في موقف الشاعر من الموت غرابة ، أو مفاجأة ، فما من مخلوق لا يرعبه الموت ، أو تخيفه فكرة حلول أجله ، لاســـيما وهـــو يخطو خطواته الأولى على درب سعادة طال انتظارها . ولكـــن هـــذا الموقف هو المفاجاة ، فقبل قليل ، وفي القصيدة نفسها نـــادى الشـــاعر الموت قائلاً :

كم ليلـــة ناديت باسمـــك أيهـــا المـــوت الرهيـــبُ
وودت لاطلع الشـــروق عليّ إن مـــال الغـــروبُ
بالأمس كنـــت أرى دجـــاك أحبَّ من خفقـــات آلِ
راقصن آمال الظمـــاء .. فبلهـــا الـــدم واللهيـــبُ
بالأمس كنت أصيح : خذني في الظلام إلى ذراعكْ

---

[١٤] مجموعة أعلام الشعراء : ١٨٠
ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٠م
والنص المذكور مستل من كتاب العقاد الموسوم بـــ (جميـــل بثينـــة شـــاعر الحب العذري)
[١٥] الديوان : ٤٥

واعبر بي الأحقــاب يطويهــن ظل من شراعكْ

خذني إلى كهــف تهــوّم حولــه ريحُ الشمــالِ

نام الزمان على الزمان به ، ذائبـا في شعاعكْ[١٦]

هذه هي فطرة الإنسان . هذا هو الإنسان الساذج الفطري ، فمن لهفة للقاء الموت ، إلى خوف من هذا اللقاء ، حين يوشك أنْ يتحقــق . ولا تثريب عليه في ذلك .

أما الخصيصة الأخرى التي توصل إليها الباحث فهي الموقــف الإنساني المميز ، والقدرة على اتخاذ القرار الحاســم ، الأمــر الــذي يوميء إلى نفس غير منقادة .

يسمو الشاعر في هذه القصيدة الى حالة من الثبــات والحــزم الواعي ؛ متطلعاً إلى أمل مشرق ، على الرغــم مــن نُــذر المــوت المتربص به :

لاسوف أحيا[١٧] سوف أشفى ، سوف تمهلين طويلا

لن تطفيء المصباح .. لكنْ ســوف تحرقه فتيــلا

في ليلــة .. فــي ليلتيــن .. سيلتقــي آهافآهــا

حتى يفيض سنا[١٨] النهار ، فيغرق النور الضئيلا[١٩]

هذا التفاؤل المقترن بالتشبث بالحياة حرر النــص مــن قيــود الرومانسية ؛ التي تأنس بالألم والمعاناة ، ملتذة بهما ، جاعلــة منــهما هدفاً منشوداً ليس وراءه هدف .

---

[١٦] الديوان : ٤٣

[١٧] في الأصل (أحيى)

[١٨] في الأصل (سنى)

[١٩] الديوان : ٤٥

وفي الجانب الفني ، شاب الشطر الثاني من المقطع ضعف ، أو خلل في الفكرة ، تمثل بقول الشاعر (لكنْ سوف تحرقه فتيلا) ، فقد ضيّق التخصيص بذكر الفتيل أفق الصورة ، ولو قال الشاعر : (لن تطفيء المصباح .. لكن سوف تحرقه قليلا) لاتسع أفق الصورة ، وصارت أكثر تناسقاً وإشراقاً .

(وداع) قصيدة أخرى للسياب ، هيمنت عليها روح الهمس ، فتلونت أبياتها بأغلب خصائصه جعل الشاعر قصيدته مقاطعَ ، مثلما فعل في (رئة تتمزق) ، واستهلها بفكرة الموت المحتوم ، لا المحتَمل ضامناً لها منذ البداية جواً عاطفياً متأزماً ، كفيلاً بخلق التفاعلات التي تكشف عن طبيعة التجربة الشعورية التي ينطلق النص من رحابها[٢٠] .

يقول السياب في المقطع الأول :

أريقي على ساعديّ الدموع	وشدي على صدري المتعبِ
فهيهات ألا أجوب الظلام	بعيداً إلى ذلك الغيهبِ
فلا تهمس : غاب نجم المساء	ففي الليل أكثر من كوكب[٢١]

تطلّ علينا من هذا المقطع نفس مفعمة رضا وتواضعاً،نفس خالية من كدرة الغطرسة وجفوة العنجهية،يبلغ تواضعها الغاية في قول الشاعر :

فلا تهمس : غاب نجم المساء ففي الليل أكثر من كوكب

إن الشاعر مؤمن بأنه ليس شيئاً فريداً في الدنيا ، فهو واحد من جموع كثيرة متشابهة ، لذا لن يختلّ نظام الكون حين يودع الحياة .

---

[٢٠] تمتاز هذه القصيدة بالأرضية الواقعية ، فهي من تداعيات علاقة الشاعر بفتاة لها أثر في حياته . بدر شاكر السياب ، عيسى بلاّطة : ينظر ٥٤ دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧١م .

[٢١] الديوان : ٥٦ .

هذا التواضع هو مزية النفوس الكبيرة التي تستحق الإرتقاء في مراتب الإنسانية العليا . طمأنينة الروح هذه في أخطر مواجهة يمر بها أي إنسان ، مواجهة الموت سمة واضحة في دنيا السياب . لنقلْ إنـــها النظرة المنطقية ، كما يُصطلح عليها في لغة الصحافـــة الآن . يقـول السياب في شاهد يؤكد نظرتة هذه :

سوف تحيين بعدي ، وتستمتعين

بالهوى من جديدِ

سوف أنسى وتنسين إلاصدًى

من نشيد

في شفاه الضحايا ، إلا الردى[٢٢]

وما مِن شيء أفضل من القناعة والرضا والصبر حين تداهمنـا النكبات ، فلا فائدة من الشكوى :

أأثورُ ؟! أأصرخ بالأيام ؟! وهل يجدي ؟

إنا سنموتُ

وسننسى في قاع اللحد

حباً يحيا معنا .. ويموتُ[٢٣]

إن في تراثنا الأدبي شواهد كثيرة على الحسرة والتفجعّ اللذيـن يطغيان على نفس المرء عند إحساسه بدنو الأجل ؛ وها هي ذي قصيدتا مالك بن الريب وعبد يغوث الحارثي ماثلتين أمام أنظارنا ، تثيران فـي النفوس التعاطف مع الشاعرين الموشكين على الرحيل الأبدي ، مخلفين

---

(٢٢) الديوان : ٦٩

(٢٣) الديوان : ٧٣

وراءهما ذكريات الفتوة وعويل الثكالى . ووردت في كلتا القصيدتيـــن صيحات من التفجع ، في إطار من الفخر الفردي ، ترسم صورة الفـرد المتفوق الفريد . وربما جاء الفخر موجـــزاً ، إلا إن إيجـــازه مشـــوبٌ بالحسرة والفجيعة اللتين يعاني منهما الشاعر في مثل ذلك الموقف .

تبدو الحسرة جلية في قول أبي فراس الحمداني :

أبنيتـــي لا تجزعـــي كــل الأنـــام إلـــى ذهـــابِ

أبنيتي صبراً جميـــ ـــم ـــ لاً للجليـــل مـــن المصـــابِ

نوحي عليّ بحســرة من خلف ستــرك والحجــابِ

قولـــي إذا كلمتنـــي وَعَيِيـــتُ عـــن ردّ الجـوابِ

زَيّنُ الشباب أبو فرا ـــم ـــ سٍ لـــم يُمتّــعْ بالشبـــابِ[24]

ولئن كان الشعراء الثلاثة المذكورون قد ألفوا العنف والأزمات فندّت عنهم آهات التوجع على تلك الصورة،إن شاعراً بينه وبين العنف قطيعة حادة،لم يستطيع في لحظات عصيبة مثل تلك أن يبقـــى علـــى دماثتـــه ورقته؛ فطغت عليه المرارة وأنأته عما عُرِفُ عنه من تواضع فقال :

داو نـــاري والتياعـــي وتمهل في وداعـــي

يا حبيب العمر هبْ لي بضع لحظات سراعِ

وابكِ جبـــارَ الليالـــي هدّه طولُ الصراعِ[25]

---

[24] ديوان أبي فراس الحمداني : ٥٥

دار صادر ، بيروت (د. ت)

يتيمة الدهر ، للثعالبي : ١/٨٨ .

ت ، محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

[25] جماعة أبوللو وأثرها في الشعر الحديث ، عبد العزيز الدسوقي : ٤٣٢معهد الدراسات العربية العالية ، مصر ١٩٦٠م .

قد تبدو على (نجم المساء) في بيت السياب روح من الفخر تشبه ما في (زين الشباب) في بيت أبي فراس و (جبار الليالي) في بيت ناجي ؛ حين ننظر إليها مجرّدَةً من سياقاتها . ولكن النظرة المتأنية إلى ما في السياقات الثلاثة من علاقات بين التراكيب تميّز (نجم المساء) من التركيبين الآخرين ؛ لأنه ورد صفةً يمكن أن تطلقها فتاة صدمها فقد حبيبها ، فأفلتت من لسانها كلمات فعالية ، في لحظات تشبه غياب الوعي . وقد ضمن السياب عدمُ حصول هذا حين جاء بـ (لا) الناهية ، وافترض أن ما يمكن أن يقال في ندبه سيكون همساً لا يسمعه أحد . أ ' (زين الشباب) و (جبار الليالي) فإنهما وصفان انتقاهما الشاعران لنفسيهما . ولعل السياب قد ارتقى في الشطر المذكور على ما كان عليه حين قال :

واحسرتا ! أكذا أموت ؟ كما يجفّ ندى الصباح

إذ استقر على رضا وقناعة واطمئنان الى مصيره المحتوم ، بلا أسف ولا حسرة .

يستهل الشاعر المقطع الثاني باستفهام رقيق ، يكرره كأنه اليد الحانية التي تُربِّتُ طفلاً يجهش بالبكاء :

وهل كان حلم بغير انتهاء   وهل كان لحن بلا آخر ؟
لكي تحسبي أن هذا الغرام   أبيدٌ[٢٦] الرؤى خالد الحاضر

---

[٢٦] وسّع الشاعر معنى هذه اللفظة ، فقصد بها (دائم) . وإن معناها المعجمي هو (الدهر) . وقد ورد : لا أفعله أبد الآباد وأبد الأبيد .

أساس البلاغة ، الزمخشري : (أبد)

وسوّغ للشاعر مذهبه هذا أن من معاني الأبد : الدائم .

مختار الصحاح ، للرازي : (أبد)

وأنا سنبقى نعـد السنيـن مواعيد في ظله الدائـر[٢٧]

أنأى الشاعر (لكي) عن دلالتها الاعتيادية التي تفيد التعليـل ، واتخذها مدخلاً يبين تصور المحبوبة لمدى ارتباطها بحبيبها . ويحمـل المقطع الثالث من القصيدة روح الحب ذاتها :

على مقلتيك ارتماء عميق وذكرى مساءٍ تقول ارجـع

نداء بعيد الصدى كالنجوم يراها حبيبـان في مخـدع

يكاد اشتياقي يهز الحجاب وتومي ذراعي : هيا معي[٢٨]

ألقت لغة الحب ظلالها على تراكيب هـذا المقطـع ، فـأمدّت صوره بنسب متفاوتة من العواطف ، ولكنها لم تبلغ بها غاياتها ؛ مثـل الشطر الثاني الذي ينبئ بصورة فنية ، كان يمكن لها أن تكـون أكـثر أمتاعا لو توسع الشاعر في تفاصيلها ، ومثل قوله (يكاد اشتياقي يـهز الحجاب) الزاخر بشحنة عاطفية دفاقة .

نجح الشاعر في رسم صورة ، كشف فيـها عنصـرا الخيـال والحركة عن رصيد كبير من العاطفة في قوله :

سأمضي .. فلا تحلمي بالإياب على وقـع أقدامي النائيـة

ولا تتبعينـي ، إذا ما التفـت ورائي إلى الشمعة الخابية

يرنّحهـا في يديـك النحيـبُ فتهتز من خلفك الرابية[٢٩]

يمكن القول إن لغة هذا المقطع هي لغة حب ، ليس من خـلال المعنى المعجمي للالفاظ المفردة فحسـب ، إنمـا مـن خـلال دلالات التراكيب التي قدّم بها الشاعر صورته الفنية المعـبرة ، ومـن خـلال

---

[٢٧] الديوان : ٥٦

[٢٨] الديوان : ٥٦ ــ ٥٧

[٢٩] الديوان : ٥٧

عناصر التصوير الفني البارزة فيها ، فالحركة المتمثلة في متابعة الحبيبة خطوات حبيبها ، والتفات الحبيب ، وما فيه من ظلال عاطفية ، يغلب عليها الأسى ، وارتعاش يدي الفتاة وهما تمسكان الشمعة ، كل هذه اللمحات الحية المتحركة أسهمت في التعبير عن جو الحب المتأزم، ليبلغ التعبير ذروته بوساطة الخيال الخالق ، فإمساك الفتاة الشمعة بكلتا يديها (يرنحها في يديك) سيمنعها من مسح دموعها التي توحي بها لفظة (النحيب) ، واهتزاز صورة الرابية الكائنة خلفها يعني أن عيني الفتى قد اغرورقتا بالدموع ، فأخذت المشاهد تهتز أمام ناظريه .

إن آخر خصائص الهمس التي ذكرها الدكتور مندور هي الاحساس الصادق بالجمال ، والتماسه في (فتات الحياة ، التي عرف كبار الشعر كيف يلتقطونها بأنامل ورعة) .[٣٠]

تبشر النفوس المرهفة الحس بفيض زاخر من الإحساس الصادق بالجمال ، حتى وهي ترصد لمحات خاطفة من الحياة ، هينة غير ذات شأن ، لان (هذه التفاصيل الصغيرة هي التي تحركنا لأنها نسيج الحياة ، نسيجها الحقيقي . وبهذه التوافه عبّر الموهوبون من الأدباء عن أكبر المشاعر . وموضع الإعجاز هو أن نقول الأشياء الكبيرة بألفاظ صغيرة) .[٣١]

التقط السياب من عالمه ، وهو في غمرة ذلك الموقف العاطفي الحزين لمحات ضئيلة دقيقة ؛ ليجعلها ركائز لصورة ، مثل ما في قوله :

---

[٣٠] في الميزان الجديد : ٨٥

[٣١] المصدر نفسه : ٨٦

ستتسين هذا الجبين الحزين   كما انحلت الغيمةُ الشـــاردةْ
وغابت كحلم وراء التلال   بعيداً .. سوى قطرةٍ جامدةْ
ستنثرها الريح عما قليل   وتشربها التربةُ البـــاردةْ[٣٢]

وترصد النفوس المرهفة مشاهد من الحيـــاة ، قــد لا يعيرهــا الآخرون التفاتاً ، وتتفاعل معها لتخلق موقفاً ، له تميزه وسحره اللــذان يدفعان المتلقي للتأمل والانفعال والمتعة . يقول السياب :

ورب اكتئاب يسيل الغروب   على صمته الشاحب الساهمِ
وأغنية في سكون الطريق   تلاشت على هــدأة العالــمِ
أثارا صدًى تهمس الذكريات   إذا ما انتهى همسة الحالمِ[٣٣]

جعل السياب لحظات اكتئاب عابر ة منطلقاً وقاعدة لصورتــه . وحشد في إطار هذه الصورة عدداً من المفردات التي تؤكد ذلك الشعور المر ، مثل الغروب ،والصمت الشاحب وسكون الطريق . وكان منتظراً لهذا الحشد أن يجعل الصورة سوداوية قاتمـــة ؛ غــير أن الاحســـاس الصادق بالجمال لدى الشاعر أنأى الصورة عن ظلام الكآبة ، وتـــرك عليها ظلالاً سابغة من الرصانة الحالمة ، ليختفي من إطارها كل مـــا يثير المرارة ، فتبزغ دواعي الاستبشار عبر همس الذكريات الشفيف ..

إن المزية الأساسية لقصيدة (وداع) هـــي صـــدق التجربـــة الشعورية التي شكلت قاعدة لها ؛ قاعدة قوامها صدق الإحســـاس وروح الهمس ممثلة في السماحة والبساطة والاحساس الصادق بالجمال . وقد توالت في الديوان قصائد انطلقت من القاعدة ذاتها ، وكأنها سجل تؤكـد

---

(٣٢) الديوان : ٥٧

(٣٣) نفســه

صفحاته روح السماحة والوداعة التي تسمو بهذا النمط من القصائد الى عالم الهمس. ومنها قصيدة (في القرية الظلماء) التي يقول فيها الشاعر:

يا قلبُ .. مالك ، لست تهدأ ساعة ؟ ماذا تريدْ ؟

النجم غاب وسوف يشرق من جديد ، بعد حين

والجـــدول الهـدار .. هينـم ثـم نـــامْ

أما الغرامْ .. دع التشوق يافؤادي والحنيـــن[٣٤]

هذا حديث مع النفس ، حديث هاديْ فيه عتاب ، يزينه الحنـــان والرأفة ، وفيه دعوة إلى السكينة . فالشاعر يطلب من قلبه الكفَّ عـــن اجترار مرارة الأسى والركـــونَ إلـــى الراحـــة والرضـــا ، شـــأن كل السهارى .

ونعرف سر الاسى ، إنه الغرام . غرام ســـرد لنـــا الشـــاعر قصته بقوله :

أ أظل أذكرها .. وتنساني ؟

وأبيتُ في شبه احتضار ، وهي تنعم بالرقادِ ؟

في ناظريها المسبلين على الرؤى ، أما فؤادي

فيظل يهمس في ضلوعي

باسم التي خانت هواي .. يظلُ يـــهمس فـــي خشـــوع[٣٥]

لم تدفع الخيبةُ الشاعرَ إلى أحاسيس أكثر مرارة مما صرّح به . وهذا يدل على اقتناع بحكم القدر ، وعلى طيبة وسماحة ، فلا حقد ، ولا شكوى ، أو ضغينة ..

---

[٣٤] الديوان : ٩٣

[٣٥] الديوان : ٩٤

ويقول السياب عقب المقطع السابق :

إني سأغفو .. بعد حين سوف أحلم في البحارِ

هاتيك أضواء المرافيء ، وهي تلمع من بعيـدْ

تلـــك المــرافـــيء فـــــي انتظـــــارِ

تتحرق الأضواء فيها .. مثل أصداء تبيـــدْ[٣٦]

لم يكُدر هجر الفتاة إياه صفو حياته ، فبقيت في وجدانه فسـحة للأمل ، ومكانٌ لأحلام أخرى تأنس بها روحه ، أحلام ميادينها البحار و المرأفيء والرحيل .

أما الفتاة فإن نصيبها الندم ، أحلامها ليست مما يثير الاستبشار، وغدها ينذر بالاحزان وخيبة الأمل .

دعها تحب سواي ، تقضي في ذراعية النهارْ

وتراه في الأحلام ، يعبس أو يحدث عن هواه

فغداً سيهوي ساعداه

مثل الجليد ، على خطوط باهتات في إطارْ

وعلى الرفوف الشاحبات رسائلٌ

عادت تلف على نسيج العنكبوت ، بها الوعودْ

والريح تهمس لن يعودْ

ويلوّن المرآة ظلٌ من سراج ، ذابل

وحياله امرأة تحدق في كتابْ

بالٍ ، وتبسمُ في اكتئابْ[٣٧]

---

(٣٦) الديوان : ٩٤

(٣٧) الديوان : ٩٥

تأثرت لغة القصيدة بعواطف الشاعر، فقد أسقط كثيراً من أحاسيسه على مفرداتها، مضفياً عليها ظلالاً تعزز دلالة السياق، مثل قوله:

الكوكب الوسنان يطفيء ناره خلف التلال

والجدول الهدّار يسبره الظلام[٣٨]

تبدو النار معمولاً مناسباً للفعل يطفيء، ولكنها تتمرد على ارتباطها بالكوكب، فالمناسب أن نقول: (نور الكوكب)، لا (ناره). ولهذا كان من المناسب أن يُقال الشطر الأول على وفق الصيغة الآتية:

الكوكبُ الوسنان يطفيء نوره خلف التلال

ولكنّ استعارَ العاطفة في وجدان الشاعر بلغ من الشدة مقداراً تغلب به على الذوق السائد؛ فأجبر الشاعر ـ دون أن يشعر ـ على نسبة النار إلى الكوكب. وجاءت النتيجة مجازاً سائغاً، فيه حرارة المشاعر وصدق التجربة الشعورية.

ويحمل الشطر الثاني من المقطع شحنة مماثلة من عواطف الشاعر:

والجدول الهدّار يسبره الظلام

إذ ليس من الشائع وصف الجدول بالهدار[٣٩]، لأن هذه الصيغة

---

(٣٨) الديوان: ٩٣

(٣٩) كثر استخدام هذه المفردة في وصف نحل الأبل كثرة لافتة، وهي تستخدم أحياناً في وصف صوت الحمام، إذا كررّه في حنجرته. ولكن استخدامها في وصف البعير هو الغالب. ودليل هذا قولهم الشائع: (بعير هدّار) في حين لم يرد (حمام هدار).

أساس البلاغة: (هدر)

العين للخليل بن أحمد الفراهيدي: ٤ ٢٢١

تحقيق د. مهدي المخزومي، د. ابراهيم السامرائي، دارالرشيد للنشر، بغداد ١٩٨٢م

مختار الصحاح: (هدر)

المبالغ فيـــها ــ إذا جوّزنـــا اســتخدامها مـــع ذلــك الموصــوف ــ تصلح لما هو أكبر من الجدول . ولكن ما فيها مـــن تشـديد وإيحـــاء بالعنفوان ، وما شاع حديثاً من استخدامها مع كل ما يدل علـــى الشــدّة والصخب ، مثل (هدير الرعد) ــ وهو تركيب معجمي قديم ــ ، كـل هذا سوّغ للشاعر استخدام هذا التركيب ، إحساساً منــه أنــه الأنســب لوصف حالته الشعورية .

تلك شواهد من شعر السياب ، يرى الباحث أنها مما يمكـــن أن يوصف بشعر الهمس ، الذي يتبوأ منزلة سامية في عالم الأدب الرفيع ؛ لأنها جمعت بين الفن والصدق ، ولأنها نابعـــة مـــن وجــدانٍ نقـــي ، فطري ، سليم .

المصـــــادر

١ــ أدباء معاصرون ، ــ رجاء النقاش
دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٣٩٢هــ / ١٩٧٢م .
٢ــ أساس البلاغة ، الزمخشري
دار صادر ، بيروت ١٣٩٩هــ / ١٩٧٩م .
٣ــ بدر شاكر السياب ، حياته وشعره ، عيسى بلّاطة
دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٠م .
٤ــ البلاغة العربية ، د. ناصر حلاوي ، د. طالب الزوبعي
كلية التربية الأولى ، بغداد ١٤١١هــ / ١٩٩١م .
٥ــ جماعة أبو للو وأثرها في الشعر الحديث ، عبد العزيز الدسوقي
معهد الدراسات العربية العالية ، مصر ١٩٦٠م .
٦ــ ديوان أبي فراس الحمداني ، دار صادر بيروت (د. ت) .
٧ــ ديوان بدر شاكر السياب ، دار العودة ، بيروت ١٩٧١م .
٨ــ السياب ، عبد الجبار عباس ، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٢م.
٩ــ العين ، للخليل بن أحمد الفراهيدي ، ت. د. مهدي المخزومي ،
د. ابراهيم السامرائي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ١٩٨٢م .
١٠ــ الفن والحلم والفعل ، جبرا ابراهيم جبرا
دار الشؤون الثقافية ، بغداد ١٩٨٦م .
١١ــ في الميزان الجديد ، د. محمد مندور
دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة ١٩٧٧م .
١٢ــ مجموعة أعلام الشعراء ، عباس محمود العقاد
ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٧٠م .

١٣ــ مختار الصحاح ، للرازي ، دار الفكر العربي ، بيروت
١٤٠١هــ / ١٩٨١م .
١٤ــ نظرية الحروف العاملة ، د. هادي عطية مطر
ط١ ، مكتبة النهضة العربية ، بيروت ١٤٠٦هــ / ١٩٨٦م .
١٥ــ النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه ، سيد قطب
ط٢ ، دار الفكر العربي ، مصر ١٩٥٤م .
١٦ــ يتيمة الدهر ، للثعالبي ، ت . محمد محي الدين عبد الحميد
ط٢ ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٣هــ / ١٩٧٣م .

القـــدس فـــي العهـــد البيزنطـــي

الدكتـــــور
جـــواد مطــر الموســـــوي
كلية الاداب / قسم التاريخ
جامعة بغداد

الملخص :

احتلت مدينة القدس المرتبة الاولى في الاهميـــة بين المدن الفلسطينية ، فمنها نشر السيد المسيح (عليه السلام) رسالته ، وبين اهلها صلبه اليهود ، وفيها اعظم الرموز والمقدسات المسيحية في العالم ، ومما زاد في قدسية تلك المدينة واكسبها طابعا حضاريا مميزا اعتناق الامبراطورية قسطنطين (٣٠٦ -٣٣٧م) المسيحية واعترافه بها ديانة رسميـــة للامبراطورية البيزنطية ســـنة (٣١٣م) ، فكان من مظاهر عنايتـــه بتلك المدينة انـــه اعـــاد لهـــا اسمهـــا الكنعاني القديم (اورشليم) الذي يعني مدينة السلام مع احتفاظها باسمها (ايليا) الـــذي اطلقـــه عليها الامبراطور الروماني ايليوس هدريانوس (١١٧-١٣٨م) الذي يعني بيت الرب ، كما ابدى تساهلا مع اليهود ، اذ سمح لهم بدخولها مرة واحدة في السنة بعد ان منعوا من دخولها نهائيا في عهد الامبراطور هدريانوس .

وممن زار القدس لغرض التبرك (هيلانة) ام الامبراطور قسطنطين وذلك سنة (٣٢٦م) ، ويذكر انها عثرت على خشبة الصليب الحقيقية التي صلب عليها السيد المسيح (عليه السلام) فزينتها بالذهب والفضة ، واوجدت لذلك عيداً عرف بعيد الصليب ، ومع ان مكانة القدس قد تزعزت فـــي عهـــد الامبراطـــور

٣٦١-٣٦٣م) الذي ارتد عن المسيحية ورجع الى الوثنية الا انها استعادت تلك المكانة في عهد الاباطرة الذين جاءوا من بعده لاسيما الامبراطـور جسـتنيان (٥٢٧-٥٦٥م) الذي اقام فيها ابنية وعمارات كثيرة منها (باب الذهب) ، وكذلك شهدت مدينة القدس استقرارا بعد عهد الامبراطورجستنيان استمر اكثـر مـن مائتي سنة ، مما ساعد على نموها اقتصاديا واداريا وثقافيـا ، وتـراس الادارة فيها حاكم مدني يحمل لقب (قنصل) .

واستحدث البزنطيون منصب بطريركية القدس وهو من المناصب الدينيـة العالية ، وكانت النقود المستخدمة في القدس وفلسطين هـي الـدينار الـذهبي البيزنطي من فئة دينار واحد ونصف الدينار ، واصبحت القدس مركزا لسكها ، على ان ذلك الاهتمام انتهى باستيلاء الملك الساساني كسرى الثـاني (ابرويـز) (٥٩٠-٦٢٨م) على فلسطين واحتلاله حاضرتها القدس بالتعاون مع اليهود بعد حصار دام عشرين يوما سنة (٦١٤م) وبعد استيلائهم عليها هـدموا واحرقـوا كنائسها ومنها كنيسة القيامة ، كما نقل الساسـانيون الصـليب الحقيقـي الـى عاصمتهم طيسفون ، وبعـد احـد عشـر سنة تمكـن الامبراطـور هرقـل (٦١٠-٦٤١م) من استعادتها سنة (٦٢٩م) لكنه لم يهنأ كثيرا ، فقد دخلت القدس الى الحظيـرة العربيـة الاسلاميـة بعهـد الخليفة (رضـي الله عنـه) سـنة (١٥هـ/٦٣٦م) .

تولى عرش الامبراطورية الرومانية ، الامبراطور قسطنطين الملقـب بالكبير(٣٠٦- ٣٣٧م) ، لتبدأ مرحلة حضارية جديدة ، ولا سيما بعد اعتناقـه الديانـة المسيحيـة واعترافـه بها ديانـة رسميـة بعد اعلان (ميلان) سنة (٣١٣م) [١] وبناء عاصمة جديـدة سميت على اسمـه بـ (القسطنطينيـة)

سنة (٣٢٤م) [٢] ، في منطقة بيزنطة (بيزنطوم) Byzantium ، في نقطة التقاء قارة اوربا بالقارة الاسيوية عند مضيق البسفور ، وهو موقع مهم عسكريا واقتصادياً ، منذ ذلك التاريخ بدأ يظهر كيان سياسي ، اتحدت فيه مبادئ الرومان المسيحية وافكارهم مع الحضارة اليونانية الهلنستية الوثنية ، واطلق عليها (الامبراطورية الرومانية - الشرقية) وسماهم العرب المسلمون (الروم) وسميت فيما بعد(الامبراطوريةالبيزنطية) نسبة الى منطقة (بيزنطة) [٣].

دخلت القدس تحت السيطرة البيزنطية ، بصفتها مدينة من مدن فلسطين ، التي قسمت في عهد الامبراطور قسطنطين الى ثلاثة اقسام :

١- فلسطين الاولى (Palaestina Prima) وتشمل : اورشليم (القدس) ونيابولس (شكيم) وجوبا (Joppa) ويافا وغزة وعسقلان وغيرها ومركزها الرئيس مدينة قيسارية (قيصرية) .
٢- فلسطين الثانية (Palaestina Secunda) وتشمل : طبريـ وقلعة الحصن وجَدَرة ومدينتها الرئيسة سكيثوبوليس (Scythoplis) أي بيسان (Bethshan) .
٣- فلسطين الثالثة (Palaestina Tertia) وتشمل : بلاد الانباط وبئر السبع وكانت البتراء مدينتها الرئيسة ، لكن عاصمتها كانت مدينة (خلاصة) [٤].

وتعد فلسطين الاولى اكثر مدناً وكثافة سكانية بالمقارنة بالاقسام الاخرى فكان من ضمنها: مدينة القدس وبيت لحم وحلحول وتقوع وسعير وبيت زكريا وبيت سورا وكفر جمال وبيرزيت والبيرة وجفنة وخربة الفريديس ولفتة وقولونيا وتبير وغيرها [٥] ، والراجح ان هذا التقسيم استمر حتى نهاية السيطرة البيزنطية .

ومن بين مدن فلسطين ، اعار الإمبراطور قسطنطين أهمية كبيرة لمدينة القدس ، واعتنى بها افضل اعتناء ،إذ أعاد لها اسمها الكنعاني القديم (اورسليم = يروسالم) [٦]، الذي يعني ارض او مدينة الملك اليبوسي سالم [٧]، او مدينة السلام أو اله السلم[٨] ، لكن اسم (ايليا) بقي ملازما لها ، وهو القسم الاول من اسم (ايليا كابيتولينا) الذي اطلقه عليها الامبراطور الروماني ايليوس هدريانوس (١١٧-١٣٨م) الذي اهتم بها وأعاد بناءها [٩] ، (والاسم يعني بيت الاله) [١٠]، وبقي حتى عقد خليفة المسلمين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عهده مع اهلها سنة (١٥هـ/٦٣٦م) .

اصبحت القدس في عهد الامبراطور قسطنطين مركزاً مرموقاً نظراً لقدسيتها فمنها نشر السيد المسيح (عليه السلام) رسالته ، وبين اهلها صلبه اليهود ، وفيها اعظم الرموز والمقدسات المسيحية في العالم ، التي ظل العرب يرعونها بكل تسامح [١١]، ويذكر انه كان لا يحق لليهود دخول القدس منذ عهد الامبراطور هدريانوس ، الا ان الامبراطور قسطنطين تساهل في ذلك وسمح لهم بدخولها مرة واحدة في السنة [١٢].

وفي مدينة نيقية (Nicea) التابعة لاسيا الصغرى عقد اجتماع سنة (٣٢٣م) حضره جميع الاساقفة ، ومن ضمنهم (مكاريوس) بطريرك (أسقف) القدس ، وقد التقى به الامبراطور ، وسمع شكواه عن الحالة السيئة لمدينة القدس كما حاوره حول الشؤون الدينية المسيحية ، وإقامة كنيسة لائقة فيها [١٣]، وعلى أثر ذلك زارت أم الامبراطور هيلانة (هلينيا) القدس سنة (٣٢٦م) لغرض التبرك – فهي مسيحية تقية – بزيارة الاماكن المقدسة ، ولحث البطريرك (مكاريوس) للإسراع في أقامة كنيسة واكمال العمل فيها [١٤].

كما انتشرت الاخبار ان ام الامبراطور هيلانة ، قد عثرت على الصليب الحقيقي في القدس الى جانب بعض الاشارات والرموز الاصلية المهمة في ارض كنيسة القيامة [١٥] ، كما تحققت من بعض المواقع المقدسة ، ومنها المكان الذي صلب فيه السيد المسيح (عليه السلام) وأنشأت عليه كنيسة فخمة بدأ العمل فيها سنة ٣٣٥م ، وهي كنيسة القيامة التي تعد من أقدس الكنائس في العالم ، إذ يعتقدون ان قبر السيد المسيح (عليه السلام) فيها فاصبحت مكاناً مقدساً عند كل المذاهب والطوائف المسيحية ، فلكل طائفة مكان خاص بها للعبادة ، لذلك تعد عدة كنائس في كنيسة واحدة ، وقد حاول اليهود حرقها اكثر من مرة[١٦] .

وقد ذكرت المصادر العربية الاسلامية [١٧]، زيارة لانة إذ خرجت من ارض بلاد الشام وسارت الى بيت المقدس ، وطلبت الخشبة التي صلب عليها السيد المسيح (عليه السلام) فلما صارت اليها حلتها بالذهب والفضة ، وأوجدت لذلك عيد الصليب ، وبنيت كنيسة قمامة (القيامة) كما قامت هيلانة ببناء المكان المقابل لها ، وقد وصف الرحلة (ناصر خسرو) في كتابه (سفر نامة) كنيسة القيامة عندما زار القدس سنة (٤٣٩هـ/ ١٠٤٧م) وقال : بأنها مكان عظيم عند النصارى ويحج اليها كل سنة الكثير من بلاد الروم ، وهي فسيحة تسع ثمانية الاف رجل ، عظيمة الزخرفة الرخامية الملونة والنقوش والصور ، وهي مزدانة من الداخل بالديباج الرومي والصور ، وزينت بطلاء من ذهب وفيها صورة عيسى (عليه السلام) راكباً حماراً ، وصور الانبياء الاخرين مثل : ابراهيم واسحق ويعقوب وابنائهم (عليهم السلام) وهذه الصور مطلية بزيت السندروس ، وقد غطي سطح كل صورة بلوح من الزجاج الشفاف ، حتى لا يصل لها الغبار ، وينظف الخدم هذا الزجاج كل يوم ، وهناك مواضع أخرى

كلها مزينة ولو وصفتها لطالت كتابتي ، وفي هذه الكنيسة لوحة مقسمة الى قسمين ، فنصف يصف الجنة واهليها ، ونصف يصف النار واهلها ، وليس لهذه الكنيسة نظير في أية جهة من العالم ، ويقيم بها كثير من القسيسين والرهبان ، ويقرأون الانجيل ويصلون ويشتغلون بالعبادة ليل ونهار [١٨].

كما بنى الإمبراطور قسطنطين وأمه هيلانة كنيسة (ايليون) على جبل الزيتون ، وقد اختارت هيلانة هذا الموقع لانه يوجد فيه الكهف الذي اماط فيه السيد المسيح اللثام الى حواريه عن الكثير من المعجزات وقد اكتشفت هذه الكنيسة سنة (١٩١٠م) وهي تقع بالقرب من دير (بطرس ناستور) الى الجنوب من كنيسة الصعود [١٩] التي امرت هيلانة ببنائها ، وبناء كنائس اخرى في بيت لحم والناصرة منها : كنيسة المهد والبشارة [٢٠]، وبعد بناء هذه الكنائس ازدادت أهمية القدس الدينية عند المسيحيين في كل انحاء العالم ، واخذ الحجيج منذ سنة (٣٣٣م) يزورونها من كل حدب وصوب [٢١]، أحياء لحج السيد المسيح (عليه السلام) في صباه [٢٢]، ونجد في فلسطين وحدها أرسلت تسعة عشر اسقفاً للاشتراك في مجمع نيقية سنة (٣٢٥م) كما جاء في مخطوطة سريانية [٢٣]، وفي سنة (٣٣٥م) عقد مؤتمر ديني في القدس [٢٤]، أيد فيه المجتمعون مذهب اريوس ، وبذلك اصبح مذهب الطبيعة الواحدة مظهراً فكرياً لثورة نصارى العرب في فلسطين ، تهدف الى التخلص من الحكم البيزنطي [٢٥].

كما اصبحت القدس في نهاية القرن الرابع الميلادي مركزاً للكثير من الزهاد الذين انخرطوا في سلك الرهبنة من جميع انحاء الامبراطورية البيزنطية حيث تركوا كل شيء وراءهم وعاشوا حياة تأمل وعزلة [٢٦] ، وكانوا يستقرون كما يقول الرحالة ناصر خسرو في كتابه (سفر نامة) في سهل كبير مستو

يسمى (الساهرة) يقع في الجهات الشرقية من المدينة ، ويعتقدون انه سيكون ساحة القيامة والحشر ، لهذا يحضر اليه خلق كثيرون من اطراف العالم ويقيمون به حتى يموتوا فاذا جاء وعد الله كانوا بارض الميعاد [٢٧]. وبذلك اصبحت مدينة القدس مدينة مسيحية خالصة .

وبعد وفاة الامبراطور قسطنطين ، ومن ثم تولي العرش البيزنطي الامبراطور جوليان (Julian) سنة (٣٦١م) وقد مثل هذا الامبراطور خطراً على المسيحية ومركزها الديني ومنها القدس ، فقد ارتد عن المسيحية ورجع الى الوثنية واصدر مرسوماً يقضي بفتح المعابد الوثنية ، وهذا العمل انعش امال الوثنيين واليهود في السيطرة على القدس ، ولكن هذه الآمال تبددت فقد توفي جوليان نتيجة أصابته بسهم في ٢٦ حزيران سنة (٣٦٣م) [٢٨]، والذي جاء بعده جدد القوانين القديمة ، ومنع اليهود من دخول القدس الذي تساهل فيه جوليان [٢٩].

وفي عهد الامبراطور جستنيان (٥٢٧- ٥٦٥م) اقيمت أبنية وعمارات كثيرة في فلسطين منها (باب الذهب في القدس) ، وهو ما زال يسمى بهذا الاسم حتى اليوم [٣٠]، وكنيسة (ماري نوفا) وهي لا تبعد عن حائط المبكى ، وقد بنيت سنة (٥٤١م) [٣١]، وعندما سيطر القائد العسكري للامبراطور وهو (بنيزاريوس) على احد المعابد اليهودية قرب روما ، امر الامبراطور جستنيان بنقل كنوز هذا المعبد الى القدس [٣٢]، وقد شهدت القدس بعد ذلك ، استقراراً دام اكثر من مئتي سنة ، مما ساعد على النمو الاقتصادي والاداري والثقافي وقد ترأس الادارة في فلسطين الاولى خلال العهد البيزنطي ، حاكم مدني يحمل لقب (قنصل) وهو المسؤول عن متابعة الشؤون الادارية

والماليــة والقضائية [٣٣]، ويكون مقره العاصمة قيسارية ، واشهر من تولى هذه المهمة هو (جوستين) الذي قتل في اثناء تمرد السامرة سنة (٥٢٩م) [٣٤]، اما قيادة الجيش في الولايات الفلسطينية فعليه قائد عسكري يلقب بـ (الدوق) كمـا انه يشرف على المعسكرات الداخلية في مدن فلسطين مثل القـدس والخليـل ، وعلى الحصون الحدودية ويساعد (الدوق) رؤساء القبائل العربية ، مثل ذلك : مشاركة الغساسنة بقيادة الحارث بن جبلة الغساني في الجيش البيزنطـي الـذي يقوده الدوق ثيودور ، لقمع تمرد السامرة [٣٥]، ويكون رئيس القبيلة العربية قائد فرقة في الجيش البيزنطي ويحمل القاباً رسمية ادارية وعسكرية مثل (فيلارخ) او بطريق [٣٦]، ومن اشهر من حمل هـــذا اللقب امرؤ القيس الكندي ســنة (٤٧٣م) والحـارث الكنـدي سـنة (٥٠٣م) وابنـه قـيس ، الـذي كـان (فيلارخ) على فلسطين الاولى التي من ضمنها القدس حتى حل مكانه الاسود الكندي ثم طرده الغساسنة سنة (٥٤٤م) الذين سيطروا على كل ولايات فلسطين [٣٧]، وبضمنها القبائل العربية القريبة من القدس .

كما استحدث البيزنطيون منصب بطريركيـة القـدس ، وكـان اسـقف قيسارية يتولى رئاسة اساقفة فلسطين بولاياتها الثلاث حتى سنة (٤٥١م) إذ حل محله بطريرك القدس ، وفي سنة (٥١٨م) اصـبح عـدد الاسـاقفة التـابعين لبطريرك القدس (٣٣) اسقفا ، و(٤٩) اسقف في سنة (٥٣٦م) ، وكان للقبائل العربية المنتشرة في ضواحي القدس اسقف سنة (٤٢٧م) وهـو فيلارخ اسـمه (الاسببت) وكان الاسقف مارس العربي(ت٤٦٨م) ابن اخت (الاسببت) قـد تتلمذ على يديه عدد من الرهبان العرب ومن بينهم الياس العربي الذي تـدرج

في السلك الكهنوتي حتى صار بطريركاً للقدس سنة (٤٩٤م) واستمر حتّى سنة (٥١٨م) حيث طرد منه بتهمة اعتناقه المذهب الاريوسي [٣٨].

وفرض البيزنطيون عدداً من الضرائب على المواطنين ، منها ضريبة الارض (Tribun Soli) وكانت تؤخذ عيناً ، ومنذ القرن الرابع الميلادي صارت تؤخذ نقداً بعد أن قسمت اراضي الولايات الى وحدات ضريبية تسمى الواحدة منها يوجوم (Iugum)[٣٩]، واصبحت هذه الضريبة باهضة في عهد الامبراطور جستنيان وكذلك في عهد الامبراطور هرقل [٤٠]،كما فرضت ضريبة الرأس (Tributum Capitis) على كل مواطن من سنة١٢- ٦٥ سنة وبعد نهاية القرن الرابع الميلادي أعفى منها سكان المدن وانحصرت في الفلاحين [٤١].

وكان النقد المستخدم في فلسطين والقدس هو الاوريوس (Aurues) الذي سكه الامبراطور اوغسطين قيصر (ت٤٤ ق.م) وفي عهد الامبراطور قسطنطين سك نقداً جديداً عرف باسم سوليدوس (So'idus) او بيزنت (Bezant) يزن ٤,٥٥ غرام ما من الذهب [٤٢]، ثم اصبحت القدس مركزاً لسك الدينار الذهبي البيزنطي من فئة دينار واحد ونصف الدينار وثلث الدينار [٤٣] .

وكان الرومان والبيزنطيون اذا استولوا على منطقة يسرعون الى شق الطرق فيها ، فيخططها المهندسون ، ويقوم بتعبيدها فرق من الجند فيمدونا ويرصفون فيها الحجارة رصفاً محكماً فتبقى صالحة لمدة طويلة ، على الرغم من تأثيرات المناخ ، وضغط العجلات ، وكانت على جانبيه مسلك للسابلة (رصيف) يرتفع قليلاً عنها ، ومن اشهر الطرق التي أنشأها البيزنطيون هو

طريق القدس – الاسكندرية والرحلة فيه كانت تستغرق اسبوعين وطريق القدس – نابلس [٤٤].

كما انه أنشأ عدداً كبيراً من الكنائس في القدس وحولها جعل منها مركزاً فنياً مهماً ، فقد زينت هذه الكنائس بالموزائيك الفاخر والصور والفسيفساء ، وقد عمل من شكل هذه الكنائس مصغرات فنية بديعة ، يشتريها الحجاج [٤٥]، وكان في قبة كنيسة القيامة على سبيل المثال فسيفساء موزائيكية جميلة تمثل الامبراطور قسطنطين وامه هيلانة وهما يمسكان الصليب ، وقد استخدم الاباطرة البيزنطيون في بناء هذه الكنائس فنانين من يوناني الشرق والسوريين وغيرهم [٤٦].

ولم تستمر الاوضاع في القدس على استقرارها ، ففي عام (٦١٤م) قام كسرى الثاني (ابرويز) (٥٩٠ – ٦٣٨م) ملك الفرس الساسانيين بالسيطرة على فلسطين واحتلال حاضرتها القدس بعد حصار دام عشرين يوماً ، استطاع فيه القائد الفارسي (شاه براز) ان يقتل تسعين الف رجل [٤٧]، وقد عاونهم اليهود كالعادة في السيطرة والقتل بعد ان انضم خمسة وعشرون الف يهودي الى جانب الجيوش الفارسية [٤٨]، وقام اليهود بمذابح مروعة قتل فيها عدد كبير من المسيحيين ، كما اعادوا انتشارهم في القدس والخليل ، واشتروا الاسرى المسيحيين بأثمان بخسة وقتلوهم جميعاً ، وبتحريض من اليهود قام الفرس بتهديم الكنائس واحراقها ومنها : كنيسة القيامة ، كما اخذ الفرس الصليب الحقيقي ونقلوه الى عاصمتهم طيسفون (المدائن) الذي له قدسية عظيمة عند المسيحيين لانهم يعتقدون ان السيد المسيح (عليه السلام) قد صلب عليه [٤٩]، كما اسروا

اسقف القدس وهو (زكريا) وارسلوه الى بلدهم ، واستمر نهب القدس بمساعدة اليهود وقد فرحوا بذلك لشيء في قلوبهم ولانهم احسوا بعودة المدينة اليهم [٥٠].

ويبدو ان تصادما قد حدث بين الفرس واليهود ، بسبب النهب والقتل ، لذلك قام الفرس بنفي جميع وجهاء اليهود الى ايران [٥١]، لكن بعد سنوات عادت القدس من جديد تحت الحكم البيزنطي ، بعد ان تغلب الامبراطور هرقل (٦١٠ - ٦٤١م) عام (٦٢٩م) على الفرس وطردهم من القدس وبلاد الشام ، واعاد الصليب وفك اسر البطريرك زكريا والاسرى الاخرين [٥٢]، واعيد بناء الكنائس مرة اخرى ، وترميم ما بقي منها مثل كنيسة القيامة [٥٣]، وبعد ان تأكد الامبراطور هرقل من تعاون اليهود مع الفرس وغدرهم للمسيحيين ، امر بملاحقتهم وقتل من ظفر به منم ، فغادروا اكثرهم فلسطين ، ومنع من بقي منهم في فلسطين من دخول القدس او الاقتراب منها [٥٤]، وبذلك لم يعد هناك أي اثر لهم في القدس .

وبعد بزوغ الاسلام عززت القدس عند العرب المسلمين ، ولا سيما بعد الاسراء والمعراج [٥٥]، واتخذها قبلة اولى للمسلمين حتى السنة الثانية للهجرة [٥٦]، كما وصفت في القرآن الكريم [٥٧]، بانها مباركة وجعلها بمثابة مكة المكرمة والمدينة المنورة ، كما اعار الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) اهمية كبيرة لمدينة القدس ، فقد رويت عنه أحاديث عديدة تشيد بها وبفضلها في مختلف النواحي [٥٨]، وفي سنة (١٥هـ/٦٣٦م) دخلت القدس في ضمن حضيرة الدولة العربية الاسلامية بعهد شريف عهد به خليفة المسلمين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لاهلها [٥٩].

ومن هذا نستنتج : بعد تولي قسطنطين العرش في بيزنطة ، دخلت القدس مرحلة حضارية مهمة ، فاصبحت مدينة من مدن فلسطين الاولى بحسب التقسيم الاداري الجديد الذي اوجده البيزنطيون ، وأعيد لها اسمها الكنعاني القديم (اورسليم) الا ان اسم (ايليا) الذي اطلقه عليها الامبراطور هدريانوس ، بقي ملازماً لها ، الذي يعني (بيت الرب) .

أبدى الامبراطور قسطنطين بعض التسامح اتجاه اليهود فسمح لهم بدخول القدس مرة واحدة في السنة ، بعد ان منعوا من دخولها نهائياً ، كما قامت ام الامبراطور هيلانة بزيارة القدس والتحقق من بعض الرموز والاشارات الدينية المهمة ، وبناء عدد من الكنائس منها كنيسة القيامة ، وعلى اثر ذلك اخذ الحجيج يزورونها من كل حدب وصوب منذ سنة (٣٣٣م) إحياء لحج السيد المسيح (عليه السلام) في صباه كما اصبحت في القرن الرابع الميلادي مركزاً لكثيرمن الزهاد الذين انخرطوا في سلك الرهبنة من جميع انحاء الامبراطورية .

وقد شهدت القدس استقراراً دام اكثر من مئتي سنة ساعد على نموها اقتصادياً وادارياً وثقافياً ، حيث كان يترأس الادارة في فلسطين الاولى (قنصل) هو الحاكم المدني والمسؤول عن متابعة الشؤون الادارية والمالية والقضائية ، وكان قائد الجيش البيزنطي يلقب بـ (دوق) يساعده رؤساء القبائل العربية كما استحدث البيزنطيون منصب بطريركية القدس وهو منصب ديني عال .

كما فرض البيزنطيون عدداً من الضرائب على السكان منها ضريبة الرأس والارض ، واهتموا بانشاء الطرق المعبدة ومنه طريق القدس – الاسكندرية ، والرحلة فيه تستغرق اسبوعين ، وكذلك اصبحت القدس مركزاً فنياً مهماً ، لكثرة الكنائس فيها التي زينت بالموزائيل والفسيفساء .

وكل هذا انتهى بسيطرة الفرس على القدس سنة (٦١٤م) بالتعاون مـــع اليهود فقاموا بالقتل والنهب والسلب ، ولم يستمر ذلك طويلاً ، اذ استطاع هرقل اعادتها الى الحكم البيزنطي ، ويبدو ان هرقل لم يهنأ كثيراً ، فقد دخلت القـــدس الى الحظيرة العربية الاسلامية بعهد من الخليفة عمر بن الخطاب (رضـــي الله عنه) سنة (١٥هـ/٦٣٦م) .

الهوامش

١) عقد اول مجمع كنسي شمل أساقفة الامبراطورية ، واجتمعوا في مدينة (نيقية) التابعة لمنطقة (بيثينيا) Bithynia في اسيا الصغرى سنة (٣٢٥م) .

٢) انتهى العمل بها وافتتحت في الحادي عشر من شهر أيار سنة ٣٣٠م.

٣) عن الامبراطورية البيزنطية ينظر : الحديثي ، قحطان والحيدري ، صلاح ، دراسات في التاريخ الساساني والبيزنطي ، (البصرة : جامعة البصرة ، ١٩٨٦م) .

٤) الدباغ ، مصطفى مراد ، بلادنا فلسطين ، (القسم الاول) ، (بيروت : منشورات الطليعة ، ١٩٦٥م) ، ج١، ص٦٩٢ .

٥) ابو الرب ، هاني حسين ، فلسطين في صدر الاسلام ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، (بغداد : جامعة بغداد – كلية الاداب ، ١٩٩٨م) ، ص٣٨ .

٦) شراب ، محمد محمد حسن ، بيت المقدس والمسجد الاقصى ، دراسة تاريخية موثقة ، (دمشق : دار القلم و بيروت : الدار الشامية ، ١٩٩٤م) ، ص٦٦ .

٧) الاعظمي ، عواد مجيد ، تاريخ مدينة القدس (٣٠٠ ق.م- ١٠٩٩م) ، (بغداد : دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٢م) ، ص٨٠ .

٨) حتي ، فيليب ، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين ، ترجمة : جورج حداد وعبد المنعم رافق ، (بيروت : دار الثقافة ، ١٩٥٨م) ، ج١ ، ص١٧٣ .

٩) فوده ، عز الدين ، قضية القدس ، (القاهرة : دار الكاتب العربي ، المكتبة الثقافية (١٨٠) ، ١٩٦٧م) ، ص٢٥ .

١٠) محمود ، معين احمد ، تاريخ مدينة القدس ، (بيروت : دار الانـدلس ، ١٩٧٩م) ، ص٢٤ .

١١) الاعظمي ، تاريخ مدينة القدس ، ص٦٦ .

١٢) شراب ، بيت المقدس ، ص٦٦ .

١٣) الخليلي ، جعفر ، موسوعة العتبات المقدسة ، قسم القدس (بغداد : دار التعارف ، ١٩٧١م) ، ج١ ، ص١٨٨ .

١٤) رستم ، اسد ، الروم في سياستهم وحضـارتهم وثقـافتهم وصـلاتهم بالعرب ، (بيروت : ١٩٥٥م) ، ص٦٠ .

١٥) الاحمد ، سامي سعيد ، تاريخ فلسـطين ـ ـديم ، (بغـداد : مركـز الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٩م) ، ص٣٩٦ .

١٦) وجيه ، ابو ذكرى ، القدس عربية عبر القرون ، (القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، لا.ت) ، ص١١، ٥٩ .

١٧) المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علـي ، مـروج الـذهب ومعادن الجوهر ، (بيروت : ١٩٦٥م) ، ج١ ، ص٣٥٠ ؛ الاصفهاني ، عماد الكاتب ، الفتح القسي في الفتح القدسي ، تحقيق : محمد محمود صبح ، (القاهرة : الـدار القوميـة للطباعـة والنشـر ، ١٩٦٥م) ، ص١١٨؛ الحنبلي ، مجير الدين ، الانس الجليل فـي تـاريخ القـدس والخليل ، (النجف : ١٩٦٨م) ،ج١ ،ص١٧٠ .

١٨) نقلاً عن : الخليلي ، موسـوعة العتبـات المقدسـة ، ج١، ص٢٢٥-٢٢٦ .

١٩) جابر ، فايز فهد ، القدس ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، (عمان : دار الجليل ، ١٩٨٥م) ، ص٣٧ .
٢٠) كتن ، هنري ، القدس الشريف ، ترجمة : نور الدين كتانة ، (عمان : مكتبة الاقصى ، ١٩٨٩م) ، ص٤٨ .
٢١) جابر ، القدس ، ص٣٦ .
٢٢) انجيل لوقا ، الاصحاح الثاني ، العدد ٤١- ٥٠ .
٢٣) نقلاً عن : حتي ، تاريخ سوريا ، ج١ ، ص٤٣ .
٢٤) الاحمد ، سامي سعيد ، نظرة في تاريخ فلسطين خلال الاحتلال البيزنطي (٣٢٤- ٦٥٣م) ، مجلة (سومر) ، مج ٣٨ (بغداد : ١٩٨٢م) ، ص١٣٤ .
٢٥) ابو الرب ، فلسطين في صدر الاسلام ، ص٥٣ .
٢٦) الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة ، ج١، ص٢٢ ؛ الاحمد ، تاريخ فلسطين القديم ، ص٣٩٧ .
٢٧) نقلاً عن : الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة ، ج١، ص٢١٠ .
٢٨) الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة ، ج١، ص١٨٨ .
٢٩) الاحمد ، تاريخ فلسطين القديم ، ص٣٩٩ .
٣٠) الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة ، ج١، ص١٨٩ .
٣١) الدباغ ، بلاد فلسطين ، ص٤٩٨ .
٣٢) الاحمد ، تاريخ فلسطين القديم ، ص٤٠٠ .
٣٣) عثمان ، فتحي ، الحدود الاسلامية البيزنطية ، (القاهرة : دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٦م) ، ج١ ، ص٨٨ .

٣٤) الاحمد ، نظرة في تاريخ فلسطين ، ص١٣٥ .

٣٥) بيغوليفسكايا ، العرب على حدود بيزنطة وايران ، ترجمة : صلاح الدين هاشم ، (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، ١٩٨٥م) ، ص٢٧٣ .

٣٦) نولدكه ، ثيودور ، امراء غسان من ال جفنة ، ترجمة : بندلي جوزي وقسطنطين زريق ، (بيروت : ١٩٣٣م) ، ص٦ .

٣٧) بيغوليفسكايا ، العرب على حدود بيزنطة وايران ، ص٧٣ ، ١٧٧ ٢٠٦ ، ٢٣٢ .

٣٨) الاحمد ، نظرة في تاريخ فلسطين ، ص١٣٥ ؛ ابو الرب ، فلسطين في صدر الاسلام ، ص٤٧ .

٣٩) بينز ، نورمان ، الامبراطورية البيزنطية وحضارتها وعلاقتها بالاسلام ، ترجمة : حسين مؤنس ومحمد زايد ، (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦١م) ، ص١٢٣.

٤٠) ارشيبالد ، القوى البحرية في حوض البحر المتوسط ، ترجمة : احمد عبسى ، (القاهرة : مكتبة النهضة ، ١٩٦٠م) ، ص٣٦ .

٤١) دينت ، دانيال ، الجزية والاسلام ، تحقيق : فوزي فهيم جاد الله ، (بيروت : مكتبة الحياة ، ١٩٦٠م) ، ص٩٩ .

٤٢) ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة : محمد بدران ، (القاهرة : مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٦٤م) ، مج٤ ، ص٢٤٢ .

٤٣) ابو الرب ، فلسطين في صدر الاسلام ، ص٤٤ .

٤٤) الدباغ ، بلادنا فلسطين ، ص٦٧٩ .

45) الاحمد ، تاريخ فلسطين القديم ، ص٣٩٦ .

46) المصدر نفسه ، ص٣٩٧ .

47) المصدر نفسه ، ص٤١١ .

48) شراب ، بيت المقدس ، ص٦٧ ؛ جابر ، القدس ، ص٣٧ .

49) الاحمد ، تاريخ فلسطين القديم ، ص٤١٠ ؛ الخليلي ، موسوعة العتبات المقدسة ، ج١، ص٢٢ .

50) جابر ، القدس ، ص٣٨ .

51) الاحمد ، تاريخ فلسطين القديم ، ص٤١٠ .

52) جابر ، القدس ، ص٣٨ .

53) كما قام المسلمون بترميمها سنة (٨١٧م) في عهد الخليفة العباسي المأمون (جابر ، القدس ، ص٣٨) .

54) ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد ، العبر في ديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاشرهم من ذوي السلطان الاكبر ، (بيروت : مؤسسة الاعلمي ، ١٩٧٧م) ، ج٢ ، ص٢٢١ .

55) المسعودي ، مروج الذهب ، ج٢ ، ص٢٩٤ .

56) ابو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل، الاوائل ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م) ، ص١٥٦ .

57) سورة الاسراء ، اية ١٠ .

58) ينظر : الحنبلي ، الانس الجليل ، ج١ ، ص٢٣٠ – ٢٣١ .

59) المصدر نفسه ، ج١، ص٢٥٥ .

الملخص :

احتلت مدينة القدس المرتبة الاولى في الاهميـــة بين المدن الفلسطينية ، فمنها نشر السيد المسيح (عليه السلام) رسالته ، وبين اهلها صلبه اليهود ، وفيها اعظم الرموز والمقدسات المسيحية في العالم ، ومما زاد في قدسية تلك المدينة واكسبها طابعا حضاريا مميزا اعتناق الامبراطورية قسطنطين (٣٠٦ –٣٣٧م) المسيحية واعترافه بها ديانة رسميـــة للامبراطورية البيزنطية ســنة (٣١٣م) ، فكان من مظاهر عنايتـــه بتلك المدينة انـــه اعـــاد لهـــا اسمهـــا الكنعاني القديم (اورشليم) الذي يعني مدينة السلام مع احتفاظها باسمها (ايليا) الـــذي اطلقـــه عليها الامبراطور الروماني ايليوس هدريانوس (١١٧–١٣٨م) الذي يعني بيت الرب ، كما ابدى تساهلا مع اليهود ، اذ سمح لهم بدخولها مرة واحدة في السنة بعد ان منعوا من دخولها نهائيا في عهد الامبراطور هدريانوس .

وممن زار القدس لغرض التبرك (هيلانة) ام الامبراطور قسطنطين وذلك سنة (٣٢٦م) ، ويذكر انها عثرت على خشبة الصليب الحقيقية التي صلب عليها السيد المسيح (عليه السلام) فزينتها بالذهب والفضة ، واوجدت لذلك عيداً عرف بعيد الصليب ، ومع ان مكانة القدس قد تزعزت في عهد الامبراطور جولـــيان (٣٦١–٣٦٣م) الذي ارتد عن المسيحية ورجع الى الوثنية الا انها استعادت تلك المكانة في عهد الاباطرة الذين جاءوا من بعده لاسيما الامبراطـــور جســـتنيان (٥٢٧–٥٦٥م) الذي اقام فيها ابنية وعمارات كثيرة منها (باب الذهب) ، وكذلك شهدت مدينة القدس استقرارا بعد عهد الامبراطورجستنيان استمر اكثـــر مـــن مائتي سنة ، مما ساعد على نموها اقتصاديا واداريا وثقافيـــا ، وتـــراس الادارة فيها حاكم مدني يحمل لقب (قنصل) .

واستحدث البزنطيون منصب بطريركية القدس وهو من المناصب الدينية العالية ، وكانت النقود المستخدمة في القدس وفلسطين هي الدينار الذهبي البيزنطي من فئة دينار واحد ونصف الدينار ، واصبحت القدس مركزا لسكها ، على ان ذلك الاهتمام انتهى باستيلاء الملك الساساني كسرى الثاني (ابرويز) (٥٩٠-٦٢٨م) على فلسطين واحتلاله حاضرتها القدس بالتعاون مع اليهود بعد حصار دام عشرين يوما سنة (٦١٤م) وبعد استيلائهم عليها هدموا واحرقوا كنائسها ومنها كنيسة القيامة ، كما نقل الساسانيون الصليب الحقيقي الى عاصمتهم طيسفون ، وبعد احد عشر سنة تمكن الامبراطور هرقل (٦١٠-٦٤١م) من استعادتها سنة (٦٢٩م) لكنه لم يهنأ كثيرا فقد دخلت القدس الى الحظيرة العربية الاسلامية بعهد الخليفة (رضي الله عنه) سنة (١٥هـ/٦٣٦م) .

حماد الراوية بين يدي القضاء الأدبي

أ د . عبد اللطيف حمودي الطائي

جامعة بغداد ــ كلية الآداب

الملخص

حماد الراوية كبير رواة الشعر العربي ، منحه الله لسانا لافظا وقلبا حافظا ثاقبا ، ولذلك كان حماد يمثل إحدى أهم قنوات الرواية التي وصل عبرها الشعر العربي من عصر ما قبل الإسلام إلى عصر التدوين .

فحماد الراوية أول من اختار القصائد المعلقات وباسمه اقترنت ، وعنه اخذ الرواة شعر أمريء القيس ، فهذا الأصمعي يقول : كلما بين أيدينا من شعر أمريء القيس فهو برواية حماد ، ومع ذلك يتهم بالكذب والوضع والنحل ، ويرمي بأنه يلحن ويكسر ، ومنذ ان درست الأدب العربي وانا مرويات حماد الراوية ، تتقاذفها الامواج بين الرفض والقبول ، فإذا كان حماد الراوية غير موثوق بروايته ، فلماذا لا يرفض العلماء مروياته ، ويسقطونها من كتب الأدب العربي ، ويخلصوا التراث من كل اثر سلبي له أو أن يبرؤا ساحته من التهم الموجهة اليه ، لكي يأخذ الدارسون بمروياته ، وهم مطمئنون ، لذلك جمعت كل التهم والأحكام التي رمي بها حماد لأقف عندها وقفة عملية متجردة من كل شيء ، لأقوم بمحاكمة تلك النصوص واستنطاقها وصولا الى معرفة الحقيقة ، هل حماد بريئا عما رمي به ، ام كان وضاعا حقا كما هو متهم به ؟ لأعطي بعد ذلك كلاً ذي حقه .

المقدمـــــة

أحكام قاسية في كثير مـن الأحيـان ، فكـم بـريء لاحقتـه الاتهامات، وانهالت عليه الإشاعات وتوالت عليه الإدانات ، وهو مـن كل ما رمي به بريء ، وعلى النقيض من ذلك نجد هنـاك بطـولات مزيفة أسبغت على أشخاص ، وهي لا تعدو كونها أكاذيب وافتـراءات ليس أكثر ، وقد ينصف المظلوم ولو بعد حين ، بعد ان تقارشته سـهام العداوات الشخصية ، المتمثلة في الحسد والبغض ، حتـى يقـيض الله تعالى له من يرفع الحيف وينصفه ، ويعيد إليه حقه الضائع ، ويبدد عنه السحب السود التي غلفت سيرته الشخصية .

وحماد الراوية ، كبير رواة الشعر العربـي ، منحـه الله عـز وجل ، لسانا لافظا ، وقلبا حافظا وفكرا ثاقبا ، لذلك كان حمـاد يمثـل إحدى أهم قنوات الرواية التي وصل عبرها الشعر العربي من عصر ما قبل الإسلام إلى عصر التدوين .

فحماد الراوية أول من اختـار القـصائد المعلقـات وباسـمه اقترنت ، ومع ذلك يتهم بالكذب والوضع والنحل ، ويرمي بأنه يلحـن ويكسر ، ومنذ أن درست الأدب العربي وأنـا أرى مرويـات حمـاد تتقاذفها الأمواج بين الرفض والقبول ، فاذا كان حماد غيـر موثـوق بروايته فلماذا لا يرفض العلماء مروياته ، ويسقطونها من كتب الأدب العربي ، ويخلصون التراث من كل اثر سلبي له ، أو ان يبرؤا ساحته من التهم الموجهة اليه ، لكي يأخذ الدارسون بمروياته وهم مطمئنون ، وحينما اطلعت على كتاب مصادر الشعر الجاهلي وجدت د . ناصـر الدين الأسد قد تعرض لشخصية حماد وأنصفه ، إلا انه لم يحكـم لـه بالبراءة ، فأغراني ذلك بان اكتب بحثا اجمع فيه كل الـتهم والأحكـام

التي رمي بها حمادا ؛ لأقف عندها وقفة علمية متجردة من كل شيء ؛ لأقوم بمحاكمة تلك النصوص واستنطاقها وصولا الى معرفة الحقيقة ، أكان حماد بريئا مما رمى به ؛ أم كان وضاعا حقا كما هو متهم بـــه : لأعطي بعد ذلك كل ذي حق حقه ، وقد بذلت من اجل ذلـــك جهـــودا كبيرة ومضنية ، سيطلع عليه القارئ الكريم ويقدر قيمة الجهد المبذول في خدمة تراث أشرف لغة لأكرم كتاب ، وأملي كبير بان يـــوفقني الله تعالى الى كشف الغموض الذي أحاط بسيرة حماد ، وأظهره على غير حقيقته ، فان أصبت في مسعاي فبفـــضل الله وتوفيقـــه ، وان جانبـــت الصواب فذلك من تلقاء نفسي ، وحسبي أني اجتهدت ، ولكل مجتهـــد نصيب ، والحمد لله أولا وآخرا .

شخصيتـــه

هو حماد بن سابور بن المبارك بن عبيد المكنى بأبي القاسم[١]، فيما قال ياقوت الحموي[٢] : (انه حماد بن ميسرة بن المبارك بن عبيد الديلمي مولى بنى بكر بن وائل ، وقيل مولى مكنف ابن زيد الخيـــل) لذلك قيل هو : حماد بن أبي ليلى[٣] فيما قال ابن قتيبة انه حمـــاد بـــن هرمزان ، وان والده من سبي مكنف بن زيد الخيل او من سبي اخيـــه عروة بن زيد الخيل[٤] ، يلقب بالراوية لقب بذلك لكثرة ما روى مـــن الشعر العربي ، وقد سأله الوليد بن يزيد[٥] : بم استحققت هذا اللقـــب ؟

---

[١] ينظر الفهرست : ١٠٤ .

[٢] ينظر معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠/ ٢٥٨ .

[٣] ينظر الفهرست : ١٠٤ .

[٤] ينظر المعارف : ٣٣٣ .

[٥] ينظر الأغاني : ٦/ ٨٩ .

فقيل لك حماد الراوية ؟ قال لأني اروي لكــل شـــاعر يعرفــه أميــر المؤمنين او سمع به ، ثم أروي منهم ممن تعترف بانك لا تعرفهم ولا سمعت بهم ، ثم لأنشد شعرا لقديم او محدث الا ميــزت القــديم منـــه من المحدث .

قال : إن هذا لعلم وأبيك كثير ، فكم مقدار ما تحفظ ؟

قال : كثير ولكني أنشدك على أي حرف من حروف المعجم مئة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية .

قال : سامتحنك وأمره بالإنشاد ، وأنشده حتى ضجر (الوليد) .

وفي رواية أخرى انه قال للوليد بن يزيد[٦] : (أروي سبعمائة قصيدة أول كل واحدة منها بانت سعاد ..) ،ثم استخلف على الاستماع منه خليفة حتى وافاه ماقال) إذ أنشده ألفين وتسعمئة قصيدة لجاهلين ، فأمر له بمئة ألف درهم[٧] ، لذلك كان حماد الراوية هو المقدم من بين الرواة عند الوليد بن يزيد[٨] ، وحماد ينحدر من أصل غير عربي ، إذ كان أبوه سابور المكنى بأبي ليلى من سبي الديلم ، وسباه مكنف بن زيد الخيل الطائي ، ووهبه الى ابنته ليلى[٩] ، ومن هنا أرجح انه اكتــسب الكنية ــ أبو ليلى ــ وخدم سابور ليلى خمسين سنة وبعد وفاتها اشتراه عامر بن مطر الشيباني ، بمئتي دينار واعتقه[١٠] ، وقد ولد حماد ســـنة

---

[٦] ينظر الأغاني : ٦ / ٨٩ .

[٧] ينظر معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠ / ٢٦٠ .

[٨] ينظر الأغاني : ٦ / ٨٦ .

[٩] ينظر الفهرست : ١٠٤ .

[١٠] ينظر الفهرست : ١٠٤ .

٧٥ هـ في الكوفة[١١] وقيل سنة ٩٥ هـ[١٢] ، فيها نشأ وتعلم ، وكان في أول أمره لصا يصاحب الشطارين ،[١٣] (إلى ان نقب ليلة على رجل فأخذ ماله وكان فيه شعر الانصار ، فقرأه حماد فاستحلاه وتحفظه، ثم طلب الأدب والشعر وأيام الناس ولغات العرب بعد ذلك وترك ما كان عليه ، فبلغ في العلم ما بلغ) ، وكان ذلك الشعر نقطة التحول في حياته ؛ إذ تحول من اللصوصية الى رواية الشعر بعد ان ثاب الى رشده وتاب الى ربه سبحانه وتعالى ، فاختار المعلقات السبع ، وقد اكد ذلك ابن النحاس حين قال[١٤]:(ان حماد هو الذي جمع السبع الطوال)، وبدأ ذكره يشيع في عالم الرواية والشعر والانشاد . ويزداد ألقا وبريقا ولمعانا يوما بعد يوم ، حتى صار اعلم الناس في اخبار العرب وأنسابها وأشعارها وايامها[١٥] ولا بد لتلك الشهرة من ثمن يدفعه الرجل الذي غطى اسمه على كبار علماء العربية المعاصرين له ، فبدأ تلاميذهم وانصارهم يبغضونه ويحسدونه على ما وصل اليه ، فأخذوا يتهمونه بالكذب والنحل واللحن ، سواء بشكل مباشر او غير مباشر ، ولعل ابرز خصوم حماد المباشرين : المفضل الضبي (ت١٦٨هـ) ويونس بن حبيب الضبي بالولاء (ت١٨٣هـ) وابو عبيدة معمر بن المثنى (ت٢٠٩هـ) والاصمعي (ت٢١٦هـ) وتلاميذهم ، ابن الاعرابي (ت٢٣١هـ) ، ومحمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) ، وابو

---

[١١] ينظر الفهرست : ١٠٤ .

[١٢] ينظر الفهرست : ١٠٤ .

[١٣] ينظر الاغاني : ٦ / ٨٧ .

[١٤] ينظر معجم الادباء والمؤلفين : ١٠ / ٢٦٦ .

[١٥] ينظر معجم الادباء والمؤلفين : ١٠/٢٦٥ .

حاتم السجستاني (ت٢٥٠هـ) ، وابن عبد ربه الاندلسي (ت٣٢٨هـ) وياقوت الحموي(ت٦٢٦هـ) .

وعندما نسلط الضوء على اسماء خصوم حماد نجد أولهم المفضل الضبي يمثل الند المنافس لحماد على زعامة الرواية والشعر في الكوفة ، وان ذكره وصيته بدأ بالخفوت بعد ظهور نجم حماد ، وكان لابد له من اتخاذ إجراء يوقف به حالة التداعي في مكانته الأدبية ، فاتهم حمادا . واما الاخرون باستثناء ابن الإعرابي ، فهم من مدرسة البصرة المنافسة لمدرسة الكوفة ، وهدفهم شق صفوف مدرسة الكوفة ، لإضعاف موقفها ، وذلك بالطعن في شخصية زعيمها حماد الراوية ، ويمكن القول[١٦] : (ان ما نلقاه من اتهامات وتجريحات بين الرواة من البلدين إنما شاع في القرن الثالث الهجري ، هذا القرن الذي شهد تأجج الخصومات بين العلماء البصريين والكوفيين ؛ فتلاميذ الخليل بن احمد الفراهيدي وأبي عمرو بن العلاء وحماد الراوية هم المسؤولون عن إشاعة ما كتب من الأقوال والأحكام التي تنبيء عن تعصب أعمى وتحامل وبغض) . أما ابرز المؤيدين لصحة مرويات حماد وتوثيقها فهم : أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤هـ) ، والهيثم من عدي (ت٢٠٧هـ) ، وأبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت٢١٥هـ)، وأبو الطيب اللغوي (ت٢٥١هـ) وهم بصريون باستثناء الهيثم بن عدي فهو كوفي ، وابن الشجري (ت٥٤٢هـ) فيما كانت آراء ابن الأعرابي وأبي حاتم السجستاني تتأرجح بين الرفض والتأييد ، وسوف نناقش المواقف والآراء كافة .

---

[١٦] جهود ابي علي المرزوقي في الرواية والنقد واللغة : ٨ .

كان حماد الراوية شاعرا من الطبقة الوسطى ، ولا يرقى شعره الى مستوى الفحول ، وقد ضاع معظم شعره ، فلم يصل ألينا منه سوى بضعة أبيات ، منها هذه القطعة التي تعبر عن حالته المادية ، التي وصل اليها في العصر العباسي ، فقد ساقته الحاجة الى ان يمدح احد الأشراف من اجل الحصول على جبة ، فقال[١٧] :

ان لي حاجة فرأيك فيها ... لك نفسي فدى من الاوصاب

وهي ليست مما يبلغها غيـ ... ـري لا يستطيعها في كتاب

غير اني أقولها حين ألقا ... ك رويدا أسرها في حجاب

الى ان يقول :

إنني عاشق لجبتك الدكـ ... ـناء عشقا قد حال دون الشراب

فالبسنيها فدتك نفسي وأهلي ... اتباهى بها على الأصحاب

ولك الله والأمانة ان اجـ ... ـعلها عمرها أمير ثيابي

توفي حماد سنة ١٥٥ هـ[١٨] ، وقال الأصفهاني توفي سنة ١٥٦هـ[١٩] ، بعد ان عاش ستين سنة ، وهو مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ورثاه عدد من الشعراء ، منهم محمد بن كناسة ، فقال[٢٠] :

أبعدت من نومك الغرار فما ... جاورت حيث انتهى بك القدر

لو كان ينجي من الردى حذر ... نجاك مما أصابك الحذر

يرحمك الله من أخ يا أبا ... القاسم ما في صفائه كدر

---

[١٧] ينظر الاغاني : ٨٣/٦ .

[١٨] ينظر معجم الادباء والمؤلفين : ١٠/ ٢٦٦ .

[١٩] ينظر الاغاني : ٨٣/٦ .

[٢٠] ينظر معجم الادباء والمؤلفين : ٢٦٦/١٠ ، الفهرست : ١٠٤ .

فهكذا يفسد الزمان ويفنى   العلم منه ويدرس الأثـــر

ولحماد الراوية كتاب جمع فيه أشعار العرب ، والكتاب كان قيد التداول بين الرواة والعلماء فقد كانت نسخة منه عند أبي العباس ثعلب دل عليها روايته لقصيدة زهير بن أبي سلمى ذات المطلع :

ويوم تلافيت الصبا ان يفوتني   برحب الفروج ذي محال موثق

قال المحقق : هذه القصيدة رواها ثعلب نقلا عن كتاب حماد[٢١] وكذلك كانت نسخة من الكتاب عند الراوية هشام بن محمد الكلبي حـين أورد قصيدة لعامر بن طفيل قال :[٢٢] أصبتها فـي كتـاب حمـاد خـلاف روايتنا .

وكذلك رآه أبو حاتم السجستاني ونقل منه ، كما أشار ابن الشجري[٢٣] ، لكن المؤسف له حقا هو ضياع الكتاب وفقدانه ، ولو قدر لهذا الكتـاب أن يصل إلينا لوصلنا شعر غزير ، ولحماد الراوية آراء نقدية كثيـرة مبثوثة في أثناء المصادر القديمة يعرفها العلماء النقاد ويتداولونها ، فقد نقل الرواة والنقاد عن حماد الراوية قوله :[٢٤] (أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس ، وذو الرمة أحسن أهل الإسلام تشبيها) وقد اجمع العلماء على صحة ذلك ، والشيء اللافت للنظر ان محمد بن سـلام الجمحـي ينقل الرأي في طبقاته ولا يعزوه لقائله ، فقال :[٢٥] ، (كان علماؤنـا يقولون : أحسن الجاهلية تشبيها امرؤ القيس ، وأحسن أهل الإسلام ذو

---

[٢١] ينظر شرح ديوان زهير : ٣١١ .

[٢٢] ينظر ديوان المفضليات بشرح ابن الانباري : ٣٣ .

[٢٣] مختارات اشعار العرب : ٤٤١ ، ٤٥٦ .

[٢٤] الاغاني : ١٨ / ٩ .

[٢٥] طبقات فحول الشعراء : ١ / ٥ .

الرمة) والعلماء هم في الحقيقة قالوا برأي حماد الراوية ، الا ترى ان ابن سلام يكابر ولا يريد ان يعترف بفضل حماد الراوية على الرواية والنقد ، كما قال حماد الراوية :[٢٦] (كانت العرب تعرض أشعارها على قريش فما قبلوه منها كان مقبولا ، وما ردوه كان مردودا ، فقدم عليهم علقمة بن عبدة فأنشدهم قصيدته التي يقول فيها :

هل ما علمت وما استودعت مكتوم   أم حبلها ان نأتك اليوم مصروم

فقالوا : هذه سمط الدهر ، ثم عاد إليهم في العام المقبل فأنشدهم

طحا بك قلب في الحسان طروب   بعيد الشباب عصر حان مشيب

فقالوا هاتان سمطا الدهر) والعلماء الرواة والنقاد يتفقون على صحة تلك الراوية ، وحينما اراد الخليفة العباسي ابو جعفر المنصور معرفة اشعر شعراء عصر ما قبل الاسلام ، بعث يحيى بن سليم الى حماد الراوية يسأله عن اشعر الشعراء ، فاجاب ، ذلك الأعشى صناجتها[٢٧] ، وقال عمر بن شبة :[٢٨] (قال معاوية بن بكر الجاهلي : قلت لحماد الراوية : بم تقدم النابغة ؟ قال باكتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل بنصف بيت ، لا بل ربع بيت مثل قوله :

حلفت فلم اترك لنفسك ريبة   وليس وراء الله للمرء مذهب

والعلماء الرواة والنقاد يتفقون على صحة ذلك .

وقال حماد الراوية :[٢٩] (نظر النابغة الذبياني الى لبيد بن ربيعة وهو صبي مع أعمامه على باب النعمان بن المنذر ، فسأل عنه فنسب اليه ،

---

(٢٦) الاغاني : ٢١ / ٢٠١ .

(٢٧) الاغاني : ٩ /١١ .

(٢٨) الاغاني : ١١ / ٧ ـ ٨ .

(٢٩) الاغاني : ٣٧٦ ـ ٣٧٧ .

فقال له : يا غلام ان عينيك لعينا شاعر ، أفتقرض من الشعر شـيئا ؟

قال : نعم يا عم ، قال : فأنشدني شيئا مما قلت ، فأنشده قوله :

الم تربع على الدمن الخوالي

فقال له : يا غلام أنت اشعر بني عامر ، زدني يا بني ، فأنشده :

طلل لخولة بالرسيس قديم

فضرب بيديه إلى جنبيه وقال : اذهب فأنت اشعر من قيس كلها .

وآراؤه نقدية كثيرة لا يخلو منها كتاب نقد او رواية للشعر .

الموارد الثقافية لحماد الراوية

حماد الراوية وبعد أن وقع بين يديه شعر الأنصار واطلع عليه، حدثت نقطة التحول الحاسمة في حياته إذ تحول من الصعلكة واللصوصية الي حلقات العلم والأدب والرواية والنقد ، فأصبح ذا ثقافة عالية ومعرفة واسعة ، وقبل الشروع بمحاكمة حماد الراوية ، لابد من معرفة موارده الثقافية وهي كما يأتي : ـ

١ـ خروجه الى البادية ولقاؤه رواة القبائل ورواة الشعراء وأولادهم وأحفادهم فضلا عن الشعراء فكان يحفظ ويدون كلما يسمع وكان له في الكوفة حلقة درس يحضرها الأعراب فيسينشدهم ما يحفظون .(٣٠)

٢ـ كل ما كان يحفظه حماد الراوية ويروية كان مدونا عنده في رقوق وقراطيس ، فالوليد بن يزيد بن عبدالملك حينما أراد جمع أشعار العرب وأخبارها وأنسابها ولغاتها في ديوان موحد ، استعار من

---

(٣٠) مراتب النحويين : ٧٢

حماد ما كان بحوزته من الرقوق والقراطيس ، فدونها عنده ومن ثم أعادها اليه .[٣١]

٣ـ كانت لدى حماد الراوية مكتبة عامرة بكتب الأدب والأنساب وأيام العرب ولغاتها ، فقد قال حماد الراوية : [٣٢] (أرسل الوليد بن يزيد إلي بمائتي دينار ، وأمر يوسف بن عمر بحملي إليه على البريد ، قال : فقلت : لايسألني إلا عن طرفيه قريش وثقيف ((أعمامه وأخواله)) فنظرت في كتاب قريش وثقيف ، فلما قدمت عليه سألني عن أشعار بليّ ، فأنشدته منها ما استحسنه) .

٤ـ مناظراته الأدبية والثقافية في حلقات الدرس المختلفة مع علماء عصره ورواته ، فهو يأخذ منهم ويعطيهم ، وكانت له علاقات جيدة ووطيدة مع زعيم مدرسة البصرة العالم الراوية أبي عمرو بن العلاء الذي قال عن حماد الراوية :[٣٣] (ما سمع حماد الراوية حرفا إلا سمعته) وهذه شهادة رجل من أهلها ، كما كانت له علاقة جيدة مع المفضل الضبي وخلف الأحمر ستطلع عليها من خلال البحث .

تحليل النصوص

سأقوم بتحليل النصوص على وفق سبق صاحبها ، سأكتب النص أولا وبعد ذلك أقوم بدراسته وتحليله ومن ثم أصدر الحكم بشأنه .

---

(٣١) الفهرست : ١٠٣

(٣٢) الأغاني : ٩٤/٦

(٣٣) مراتب النحويين : ٧١

أولا ــ المفضل الضبي (ت١٦٨هـ)

أ ــ قال ابو الفرج الأصفهاني[٣٤] : ــ (ذكر الرواة أنهم كانوا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيسباد ، وقد جمع إليه الرواة العلماء بأيام العرب وأشعارها وأدبها ولغاتها ، وبينهم المفضل الضبي وحماد الراوية ، ثم خرجا من عند المهدي وقد بان الإنكسار والغم في وجه حماد الراوية ، وفي وجه المفضل الضبي السرور والنشاط ، ثم خرج حاجب الخليفة المسمى حسين الخادم فنادى قائلا : يا معشر من حضر من أهل العلم ، أن أمير المؤمنين يعلمكم أنه وصل حماد الشاعر بعشرين الف درهم لجودة شعره ، وأبطل روايته لزيادته في أشعار ما ليس منها ، ووصل المفضل بخمسين الفا لصدقه وصحة روايته ، ولما سألناه عن السبب ، قيل ان المهدي قال للمفضل : إني رأيت زهير بن أبي سلمى افتتح قصيدته بقوله :

دع ذا وعد القول في هرم   خير الكهول وسيد الحضر

فقال المفضل : ما سمعت أمير المؤمنين في هذا شيئا ، إلا أني اتوهمه كان يفكر في قول يقوله ، فعدل عنه إلى مدح هرم ، وسأل حماد السؤال نفسه فقال حماد : ليس هكذا قال زهير ، قال : وكيف ؟ فقال حماد : قال :

لمن الديار بقنة الحجر   أقوين مذ حجج ومُذْ دهرِ
لعب الرياح بها وغيرها   بعدي سوافي المورِ القطر
قفرا بمندفع النحائت من   ضفوَي أولات الضال والسدر

---

[٣٤] ينظر الأغاني: ٦/ ٩١

دع ذا وَعدِّ القول في هَرِمٍ   خير الكهولَ وسيد الحضْـرِ

فأطرق المهدي ساعة ثم استحلفَ حماد بأغلظ الإيمان ، فأقر حماد أنـه وضعها على زهير) .

تحليل النص والحكم عليه

النص موضوع لاشك في ذلك ؛ للأسباب الآتية :

١ـ إن حمادا عندما يدخل على الخلفاء والأمراء والولاة لايدخل عليهم بصفته شاعرا ، لأن شعره كما قلنا لا يرقى الى مستوى الفحـول والرواية تقول أنه شاعر ، ثم أن الحكم الذي أصدره المهدي علـى حماد كان يخص الرواية ، فكيف يجوز ذلك ، ولم توضح الرواية هل حماد وفد الى المهدي شاعرا أم راوية ، وهذه وحـدها تلغـي الرواية وترفضها .

٢ـ لماذا كان العلماء والرواة في باب مجلس المهدي ولم يكونوا فـي داخل المجلس ، والرواية في مطلعها تقول : انهم كـانوا فـي دار أمير المؤمنين ، لماذا لم يدخل العلماء والرواة الى داخل المجلـس ليسمعوا مباشرة من الخليفة ليكونوا شهداء على الواقعـة ، وهـذه النقطة وحدها تدحض الرواية وتبطلها .

٣ـ الرواية بدون سند ، فمن هم الرواة الذين ذكروا الخير ؟ أليست لهم أسماء ؟ فمن هم ؟

٤ـ من هم العلماء الرواة بأيام العرب وأشعارها وأدبها ولغاتها ، الذين حضروا في قصر المهدي فلماذا لم تذكر أسماؤهم ؟

٥ـ إن معظم المـصادر تؤكـد أن حمـادا تـوفي قبـل أن يتـولى المهدي الخلافة .

٦ــ إن المهدي بنى قصره في عيسباد سنة ١٦٤هــ في حين أن حمادا توفي على آخر الروايات سنة ١٥٨هــ .[٣٥]

٧ــ حماد الراوية لم يتصل بخلفاء بني العباس وأمرائهم ، وذلك لأنــه كان أموي الهوى ، وقد علق على ذلك بقوله : (إن أيام دولتنا قــد مــضت) وذلــك حــين دعــي إلــى حــضور مجلــس جعفر بن المنصور.[٣٦]

٨ــ إن القصيدة العربية الناضجة المستوفية لشروطها تبدأ بمقدمة على وفق ما روى حماد ، وليس بجسر لفظي وأداة تخلــص ؛ لأنهمــا يمثلان رابطا بين طرفي القصيدة ، المقدمة والغرض ، وقــد بــدأ الجسر اللفظي عند زهير بأداة التخلص التقليدية ، (دع ذا) وهذه الأدوات لايجوز الإبتداء بها ، بل هي من العيــوب ، والمفــضل الضبي أعلم بذلك من غيره .

٩ــ القصيدة موجودة في ديوان زهير برواية حمــاد ، وقــد رواهــا وشرحها الأعلم الشنتمري.[٣٧]

١٠ــ القصيدة في مختارات أشعار العرب لابن الشجري ، كما رواها حماد وقد شرحها أبو عمرو الشيباني ورواها أبو عبيدة .[٣٨]

١١ــ القصيدة في مختار الشعر الجاهلي ، للأعلم الشنتمري كما رواها حماد الراوية.[٣٩]

---

[٣٥] ينظر تاريخ الطبري : أحداث سنة ١٦٤هــ .

[٣٦] ينظر الأغاني : ٨٢/٦

[٣٧] ينظر شرح ديوان الحطيئة : ٣٤ــ٣٥

[٣٨] مختارات اشعار العرب : ٢١٠ــ٢١١ ، ويلاحظ الهامش الأول من الصفحة : ٢١٠

[٣٩] مختار الشعر الجاهلي : ٢٩٩

وخلال القول نقول بثقة واطمئنان : إن الخبـــر موضـــوع ولا أساس له من الصحة ، كان الهدف منه الإساءة لحماد على حساب المفضل ، على الرغم من أن المفضل لم يكن محتاجا إلـــى تلـــك الرواية الساذجة والمتكلفة ؛ لأن المفضل من أعلام الأدب العربـــي الثقات ، ومن هنا تظهر براءة حماد من التهمة المنسوبة إليه .

ب ــ قال ابن الأعرابي[٤٠] : (قال المفضل الضبي : قد ســـلط علـــى الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا ، فقيل له وكيـــف ذلك ؟ أيخطئ في روايته أم يلحن ؟ قال : ليته كان كذلك ، فأهـــل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب ، ولكنه رجـــل عـــالم بلغـــات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم) .

تحليل النص والحكم عليه

هذا النص يصرخ يوجه قارئه معلنا : إنه موضوع مـــصنوع ، ذلك لأنه يتعارض ويتقاطع مع قول يونس بن حبيب الضبي الذي يمثل أبرز أنصار المفضل الضبي ، فقد قال محمد بن سلام الجمحـــي[٤١] : (سمعت يونس يقول : العجب ممن يأخذ من حمـــاد ، وكـــان يكـــذب ويلحن ويكسر) ، ألم يقل المفضل عن حماد : لكنه رجل عالم بلغـــات العرب وأشعارها ، فكيف إذا يلحن ويكسر ؟ علما بأن يونس بصري ، وهو بعيد عن حماد ، والمفضل كوفي ومجاور لحماد ، فالعجب كـــل العجب من أن القريب يؤكد قوة لغته وسلامة لسانه من اللحن ، والبعيد هو الذي يتهم ! ألا ترى معي أنه الحسد والبغض ليس غير ؟ ولم يتهم

---

(٤٠) ينظر الأغاني : ٦/ ٨٥ ، معجم الأدباء والمؤلفين : ١٠/ ٢٦٥

(٤١) ينظر طبقات فحول الشعراء : ٤٩/١

حمادا باللحن والكسر سوى يونس ، أما ابن الأعرابي الذي حشر أسمه في الرواية ، ذلك لكونه ربيب المفضل الضبي وتلميذه المدلل ، والرجل على ما أرجح ليس له علم أو دراية بهذه الرواية ؛ لأنه لم ينتقد حمادا في كل مروياته ، ولم يتعرض له ، ولم أجد له موقفا سلبيا من حماد في المصادر التي اطلعت عليها ، لذلك لايعدو وجود اسمه في هذه الرواية إلا مقحما عليها ، لعله يزيد من قوة التهمة ، والرواية بالمحصلة النهائية موضوعة ، إذا علمنا أن المهدي حينما أراد أن يعرف شيئا عن أسرة حماد الراوية وحالها بعد وفاته ، لم يجد غير المفضل الضبي ليسأله ، فقال له : [٤٢] (ما فعل عياله ومن أين يعيشون ؟) وهذا السؤال الموجه الى المفضل الضبي يدل على التواصل والتراحم بين حماد الراوية والمفضل الضبي ، إذ كان المفضل يتفقد أحوال أسرة حماد ، وربما كان يجود ببعض المال ، وهذه من صفات العلماء .

ثانيا ــ يونس بن حبيب الضبي بالولاء(ت ١٨٣هـ) .

أرجح أن عداء يونس لحماد سببه العصبية القبلية ، على الرغم من أن كلا الرجلين من الموالي ، لكن يونس ضبي بالولاء ، فهو يناصر المفضل الضبي ، فضلا عن انتماء كل منهما إلى مدرسة تنافس الأخرى ، ولم أجد لهذا العداء غير هذا التفسير ، فقد قال محمد بن سلام الجمحي[٤٣] (أخبرني أبو عبيدة عن يونس قال : قدم حماد البصرة على بلال بن أبي بردة ، وهو وال عليها ، فقال له :أما

---

[٤٢] ينظر قطب السرور في أوصاف الخمور : ٣٠٧ ، ربيع الأبرار : ٢/ ٦٣٣

[٤٣] ينظر طبقات فحول الشعراء : ٤٨/١

أطرفتني شيئا ؟ فأنشده قصيدة الحطيئة في مدح أبي موسى الأشعري ، فقال له : ويحك أيمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم ، وأنا أروي شعر الحطيئة ، ولكن دعها تذهب في الناس)

تحليل النص والحكم عليه

النص موضوع وملفق ، والتكلف والسذاجة واضحة في روايته ؛ إذ كيف يصح أن يكون بلال راوية لشعر الحطيئة ولا يعلم بقصيدة مدح بها جده أبا موسى الأشعري ؟ وهي موجودة في ديوانه ، ويتناقلها الرواة فضلا عن أن يسمح بلال ويقبل بانتشار قصيدة منحولة ، وهو من رواة الشعر المخلصين ، وفي أدناه نثبت لنسبة القصيدة :

١ـ القصيدة ثابتة النسبة للحطيئة في ديوانه بشرح ابن السكيت ، وهي تحت تعليق(٤٤) : (وقال الحطيئة يمدح أبا موسى الأشعري ، وهو عبد الله بن قيس ، وكان قدم عليه ، فعرض عليه أن يفرض له فأبى ، ثم قدم فطلب الفريضة ولم يقدر عليها فقال :

ها تعرف الدار مذ عامين أو عام   دارا لهند بجزع الخرج فالدام

٢ـ القصيدة ثابتة النسبة للحطيئة في ديوانه بشرح السكري مروية عن سلسلة الرواة محمد ابن حبيب عن ابن الأعرابي وعن أبي عمرو الشيباني ، وهي تحت تعليق(٤٥) : (وقال أيضا يمدح أبا موسى الأشعري ، وكان الحطيئة دعي إلى أن يكتب في من يغزو العراق مع أبي موسى ، فلم يفعل ، فلما كتب أبو موسى وفرغ من كتبته ،

[illegible]

(٤٤) ينظر شرح ديوان الحطيئة : ١٢٥ـ١٣٠

(٤٥) ينظر شرح ديوان الحطيئة : ١٣

هل تعرف الدارمذ عامين أو عام   دارا لهند بجزع الخرج فالدام

٣ــ القصيدة وثقها الراوية البصري أبو الحسن علي بن محمد المدائني (ت٢١٥هــ) ، وهو معاصر لابن سلام ، قال [٤٦]: (إن القصيدة صحيحة لاريب فيها ، قالها فيه وقد جمع جيشا للغزو) .

٤ــ استشهدت كتب المعاجم والأمالي وغيرها ببعض أبيات القصيدة ، وهي كما يأتي :

أ ــ قال أبو علي القالي[٤٧] : أنشدني أبو بكر بن دريد للحطيئة :

مستحقبات رواياها جحافلها   يسمو بها أشعر يطرفه سامي

والبيت هو الخامس عشر من القصيدة .

ب ــ البيت الخامس عشر مع بيتين أخلت بهما رواية الديوان في الحماسة البصرية.[٤٨]

ج ــ البيت الحادي عشر من القصيدة في معجمي اللسان والتاج في مادتي (سلم ، جدل) على التوالي .[٤٩]

د ــ البيت السابق في المغرب للجواليقي[٥٠] ، والمزهر للسيوطي.[٥١]

---

[٤٦] ينظر الأغاني : ١٧٦/٢

[٤٧] ينظر الأمالي : ١/ ٥٥

[٤٨] ينظر الحماسة البصرية : ١٦٠/١

[٤٩] ينظر اللسان والتاج : مادتي (سلم ، جدل) على التوالي

[٥٠] ينظر المعرب : ١١

[٥١] ينظر المزهر : ١١

هـ ـ البيت الخامس عشر في اللسان ، مادة : زلم[٥٢] ، وفي الأغاني .[٥٣]

و ـ البيت السادس عشر في اللسان ، مادتي : زجر ، زلم .[٥٤]

ز ـ الأبيات : ٨، ١١، ١٢، ١٥ من القصيدة في سمط اللآلئ .[٥٥]

ثالثا ـ الأصمعي (ت٢١٦هـ)

وهو من رواة مدرسة البصرة الثقاة .

أ ـ روى عنه أبو حاتم السجستاني قوله[٥٦] : (جالست حمادا فلم أجد عنده ثلاث مئة حرف ، ولم أرض روايته) ، ثم عاد أبو حاتم ليروي لنا خبرا ينقض الخير الأول ويدحضه وهو قوله عن الأصمعي[٥٧] : (كل شيء في أيدينا من شعر امرئ القيس فهو عن حماد إلا نتفا سمعتها عن الأعراب وأبي عمرو بن العلاء)

تحليل النصين والحكم عليهما

النصان السابقان ليسا بحاجة إلى كثير معرفة واعمال فكر ، الثاني يناقض الأول ، لذلك أرجح أن الأول موضوع ، ولم يقله الأصمعي ؛ لأنه لو صح ذلك فكيف يروي عنه شعر إمرئ القيس ؟ كما ان النصين يجعلان من أبي حاتم السجستاني راوية انتهازيا ، لا يستقر على رأي ويضعف من مكانته بين الرواة ،

---

[٥٢] ينظر اللسان مادة : (زلم)

[٥٣] ينظر الأغاني : ١٧٥/٢

[٥٤] ينظر اللسان مادتي : (زجر ، زلم)

[٥٥] ينظر سمط اللآلئ : ٦٨٨ ـ ٧٠٠

[٥٦] ينظر مراتب النحويين : ٧٢

[٥٧] ينظر مراتب النحويين : ٧١

وهو الراوية الثقة ، والراجح عندي أن الأول مصنوع والهدف منه دعم الآراء التي ترمي حمادا بالكذب والنحل واللحن والوضع

ب ـ قال الأصمعي[٥٨] : (حماد أعلم الناس إذا نصح) قول جميل يوثق صحة مرويات حماد ، وإن كان ظاهره خلاف ذلك ، بعد أن نقف على الرواية المحرفة التي رويت عن ياقوت الحموي بعد أكثر من أربعمائة عام وفاة الأصمعي ؛ إذ أن ياقوتا توفي سنة ٦٢٦هـ وهي[٥٩] ، (حماد أعلم الناس إذا نصح ، وإذا لم يزد ولم ينقص في الأشعار لأنه كان متهما)

تحليل النص والحكم عليه

قول الأصمعي (إن حمادا أعلم الناس إذا نصح) ، يقصد منه إذا نصح لمن يأخذ عنه ، وسمحت نفسه في إعطائه وتعليمه ، ذلك لأن حمادا كان مشهورا عنه أنه ضنين برواية الشعر وإنشاده ، فهو يحترم الشعر ، لاينشده إلا في مكان يليق به وبأهله ، وأما ما أضافته الرواية المحرفة فلم يرد في أي مصدر من مصادر الأدب العربي ، وعليه كيف وصل النص إلى ياقوت بهذه الرواية ، وهو البعيد عن الأصمعي زمانا ومكانا بأكثر من أربعة قرون ؟ فضلا عن ذلك نجد ياقوتا يروي ما نصه[٦٠] ، (إن خلفا الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة وذلك بعد أن جاء إلى حماد الراوية ، فسمع عنه) ألا ترى

---

(٥٨) ينظر الأغاني : ٦/ ٧٠

(٥٩) ينظر معجم الأدباء والمؤلفين : ٢٦٥/١٠

(٦٠) ينظر معجم الأدباء والؤلفين : ٦٨/١١

معي أن ياقوتا يوثق رواية حماد ويؤكد صحتها ؟ وهذا يؤكد أن الإضافة على الرواية مصنوعة وموضوعة ولا سبيل إلى قبولها .

رابعا ـ أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت٢٠٩هـ) وهو من رواة الشعر العربي من مدرسة البصرة ؛ إذ كان يروي عن يونس خصم حماد اللدود ، فقد ذكر الأصفهاني أن ابا عبيدة قال[٦١] ، (قال خلف الأحمر : كنت آخذ من حماد الراوية الصحيح من أشعار العرب ، وأعطيه المنحول ، فيقبل ذلك مني ، ويدخله في أشعار العرب ، وكان فيه حمق) .

تحليل النص ومحاكه

خلف الأحمر هو أول من أحدث السماع في مدرسة البصرة بعد زيارته للكوفة ولقائه حمادا الراوية ، وهذا يدل على أن خلفا كان معجبا بحماد وطريقة روايته للشعر ، وإلا فكيف أخذها عنه ، وقام بنقلها إلى مدرسة البصرة ، إن لم تكن جيدة وصحيحة ؟ ثم أن حمادا هو العالم بأشعار العرب ؛ كما يؤكد المفضل الضبي ذلك فكيف يعقل أنه كان يقبل الشعر المنحول ويرويه ، ثم من أين جاءه الحمق ، وهو على درجة من العلم والعقل والدراية ؟ وبذلك تكون هذه الرواية شأنها شأن الروايات الأخرى مندرجةتحت صنف الروايات المصنوعة والموضوعة .

خامسا : ابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)

ثم آل الدور الى ابن عبد ربه الأندلسي الذي جعل من نفسه خصما لحماد الراوية من دون تبصر أو رواية ليدلي بدلوه في دائرة

---

[٦١] ينظر الأغاني : ٩٣/٦

الإتهام ليقدح على نفسه نارا هو ليس بحاجه لها حين افترى على حماد الراوية بقوله[٦٢] (قال حماد : ما من شاعر إلا زدت في شعره أبياتا إلا الأعشى ، أعشى بكر فأني لم أزد في شعره غير بيت ، فأفسدت عليه شعره ، قيل له : وما البيت الذي أدخلته في شعر الأعشى، فقال :

وأنكرتني وما كان الذي نكرت   من الحوادث إلا الشيب والصلعا

تحليل النص والحكم عليه :

المشهور عند العلماء والرواة أن الذي زاد هذا البيت هو أبو عمرو بن العلاء وليس حماد الراوية ، إذ اعترف أبو عمرو بن العلاء نفسه بذلك ، والإعتراف سيد الأدلة .

١ـ قال أبو عبيدة معمر بن المثنى تلميذ أبي عمرو :[٦٣] (إن بشارا أعلم الناس بالشعر وألفاظ العرب ، قال لي وقد أنشدني أول هذه القصيدة للأعشى ، فمر هذا البيت

وأنكرتني وما كان الذي نكرت   من الحوادجث إلا الشيب والصلعا

كأن هذا ليس من لفظ الأعشى ، وكان قوله هذا قبل أن أسمع هذا قبلأبي عمرو بعشرين سنة) .

٢ـ قال يونس بن حبيب التلميذ الآخر لأبي عمرو:[٦٤] (سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : ما زدت في أشعار العرب إلا هذا البيت : وأنكرتني وما كان .. ثم أضاف قائلا : والله ما كذبت قط في شيء إلا في هذا البيت ولو سئلت عنه لصدقت ، وكان المفضل الضبي حاضرا في المجلس فقال لأبي همرو : قد كنت أسمع بهذا البيت في

---

[٦٢] العقد الفريد : ٦ / ١٢١

[٦٣] مجالس العلماء للزجاجي : ٦٩

[٦٤] حلية المحاضرة : ٢/ ٣٩

القصيدة ، ولكنك الصادق البر ، كثر الله في أهل العلم مثلك) .

ويونس هو الخصم اللدود لحماد الراوية .

٣ـ قال ابن جني :[٦٥] (حدثنا بعض أصحابنا ، قال أبو عمرو بن العلاء ـ رحمه الله ـ زدت في شعر العرب إلا بيتا واحدا هو : وأنكرتني وما كان ..

٤ـ قال ابن خالويه :[٦٦] (حدثنا ابن مجاهد وغير واحد أن أبا عمرو ابن العلاء قال : ما زدت في شعر العرب إلا بيتا واحدا في قوله للأعشى وأنكرتني وما كان .. وما قرأت حرفا في كتاب الله إلا بأثر قوله عز وجل ((وأملي لهم)) فوجدت لناس قد سبقوا إليه) .

هل يحتاج الأمر الى دفاع بعد هذه الشهادات وهل من شك أن حمادا الراوية لم يقل ذلك وهو منه بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب عليه السلام ، وبذلك تكون رواية ابن عبد ربه باطلة .

العلماء الذين يوثقون حماد الراوية :

أما العلماء الذين يوثقون حمادا الراوية ولم يرد لهم خبر أو تعليق في أثناء البحث ، فهم كما يأتي :

١ـ أبو عمر بن العلاء (ت١٥٤هـ) ، وهو شيخ الرواة وزعيم مدرسة البصرة وأحد القراء السبعة ، وكان معاصرا لحماد الراوية ومنافسا قويا له على زعامة الشعر وروايته ، إلا أنه كان منافسا شريفا ، نظيف السريرة ، فقد قال عن حماد :

---

[٦٥] الخصائص : ٣ / ٣١٠

[٦٦] شرح مقصورة ابن دريد : ٥٢٢

أ ــ قال أبو عمرو الشيباني[٦٧] : (ما سألت أبا عمرو بن العلاء قط عن حماد إلا قدمه على نفسه ، ولا سألت حمادا عن أبي عمرو إلا قدمه على نفسه) .

ب ــ قال أبو عمرو بن العلاء[٦٨] : (ما سمع حماد الراوية حرفا قط إلا سمعته) .

٢ــ الهيثم بن عدي (ت٢٠٧هـ) قال عن حماد الراوية[٦٩] : (ما رأيت رجلا أعلم بكلام العرب من حماد) .

٣ــ قال الطرماح بن حكيم الطائي :[٧٠] (أنه أذكى الناس وأحفظهم) .

٤ــ أبو الطيب اللغوي (ت ٢٥١هـ) :

أ ــ قال ابو الطيب الغوي[٧١] : (إن حمادا الراوية من أوسع الكوفيين رواية ، وقد أخذ عنه أهل المصريين) يعني البصرة والكوفة .

ب ــ قال أبو الطيب اللغوي عن الأصمعي[٧٢] : (أنه روى شعرا عن حماد) .

٥ــ قال أبو البركات الأنباري[٧٣] : (كان خلف الأحمر أول من أوجد السماع بالبصرة وذلك أنه جاء إلى حماد الراوية ، فسمع منه ، وكان ضنينا بأدبه) .

---

[٦٧] ينظر مراتب النحويين : ٧٢

[٦٨] ينظر مراتب النحويين : ٧١

[٦٩] ينظر مراتب النحويين : ٧١

[٧٠] الأغاني : ٦ /٩٠

[٧١] ينظر مراتب النحويين : ٧١

[٧٢] ينظر مراتب النحويين : ٧٢

[٧٣] ينظر نزهة الألباء : ٣٧

٦ ــ رواة المعلقات وشراحها ممن أخذوا براوية حماد ، وذلك معلوم للجميع[٧٤] : (إن حمادا الراوية لما راى زهد الناس في حفظ الشعر جمع هذه السبع ، وحضهم عليها ، وقال لهم : هذه المشهورات) والقصائد السبع هي للشعراء الآتية اسماؤهم : (إمرؤ القيس ، طرفة بن العبد ، زهير بن أبي سلمى ، لبيد بن ربيعة ، عمرو بن كلثوم التغلبي ، عنترة بن شداد ، الحارث بن حلزة اليشكري) .

وقد أخذ برواية حماد كل من الشراح الرواة الآتية أسماؤهم :

أ ــ ابن الأنباريث (ت٣٢٨هـ) راوية والده المتوفى سنة (٣٠هـ) صاحب شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات .

ب ــ ابن النحاس (ت٣٣٨هـ) بعد أن جمع بين روايتي خماد والمفضل في شرحه (شرح القصائد التسع المشهورات) .

جـ ــ الزوزني (ت٤٨٦هـ) صاجحب شرح القصائد السبع

د ــ التبريزي (ت٥٠٢هـ) صاحب شرح القصائد العشر .

وعندما رأى المفضل الضبي شغف الناس وحبهم لهذه القصائد فأراد أن يكون له فيها شأن ، فأيد حمادا في اختياره ، إلا أنه اختار النابغة الذبياني والأعشى بدلا من عنترة ابن شداد والحارث بن حلزة انيشكري .

بن الشجري (ت ٥٤٢هـ)

---

(٧٤) معجم الأدباء والمؤلفين : ٤/ ١٤٥ ، وفيات الأعيان: ٢/٢٠٥ ، شرح القصائد التسع المشهورات :٦٨٢ .

أ ــ روى عن حماد الراوية قصة الحطيئة مع الزبرقان بن بدر.[٧٥]

ب ــ روى ابن الشجري البيت السابع من قصيدة الحطيئة في هجاء الزبرقان كما يأتي :[٧٦]

ما كان ذنب بغيض أن رأى رجلا   ذا فاقة حل في مستوعر شاس

وعلق على هذا البيت بقوله: هذه رواية حماد الراوية وروى الأصمعي:

ما كان ذنب بغيض لا أبا لكم   في بائس جاء يحدو آخر الناس

وأضاف ابن الشجري قائلا : ورواية حماد أجود لئلا يتكرر الناس في القافية فيكون إيطاء قبيحا وفعلا فقد صدق قول ابن الشجري إذ تجيء الناس قافية للبيت الحادي عشر وعندها يكون الإيطاء الذي يعد من عيوب الشعر .

جـ ــ قال ابن الشجير[٧٧] : وفي كتاب حماد الراوية زيادة في هذا الموضع بيتان ، قال أبو حاتم : مصنوعان مردودان :

٤٤ــ بزاخر نائل سبط ومجد   مخالطه العفافة والحياء

٤٥ــ وأمضى من سنان إز أنى   طعنت به إذا كره المضاء

وقد شرح ابن الشجيري البيتين ، وقد أخلت بهما رواية الديوان ابن السكيت ولكن محقق الديوان[٧٨] د. نعمان محمد أمين طه أشار إلى أنهما في مخطوطة الديوان برواية السكري المحفوظة في مكتبة الفاتح بتركيا .

---

[٧٥] ينظر مختارات أشعار العرب : ٤١٠ ــ ٤١١

[٧٦] ينظرمختارات أشعار العرب : ٤٢٢ــ٤٢٣

[٧٧] ينظر مختارات أشعار العرب : ٤٤١

[٧٨] ينظر ديوان الحطيئة : ٦٨

ج ــ قال ابن الشجيري[٧٩] : قال السجستاني : في كتاب حماد الراوية زيادة بعد هذا البيت أربعة أبيات كتبتها ليعرف المصنوع وهي :

٢٢ــ وتشرب بالقعب الصغير وأن تقـد   بمشفرها يوما إلى الحوض تنقد

٢٣ــ وإن حط عنها الرحل قارب خطوها   أمين القوى كالدملج المتعضـد

٢٤ــ تراقب عيناهـا إذا تلـع الضحـى   ذبابا كصوت الشارب المتغـرد

٢٥ــ وتضحي الجبال الغبر خلفي كأنها   من الآل حفت بالملاء المعضـد

الأبيات في ديوان الحطيئة برواية ابن السكيت وهي من القصيدة ذات المطلع: [٨٠]

١ــ آثرت إدلاجي على ليل حرة   هضيم الحشى حسانة المتحرد

والأبيات تحمل التسلسل الآتي : ٢٣، ١٩، ٢٤، ٢٧ على التوالي ، والأبيات صحيحة النسبة للحطيئة فقد رواها ابن السكيت ، والسكري ، وخالد بن كلثوم[٨١] ، فضلاً عن ذلك ان الأبيات الاربعة لم ترد في الديوان متسلسلة كما رواها السجستاني ، بل جاءت متناثرة في أثناء القصيدة بين تقديم وتأخير ، ولم يشر رواة القصيدة وشراحها ، وهم من الثقات إلى أن الأبيات موضوعة ، ولم يسقطوها من القصيدة ، وهذا يدل على أن رواية السجستاني موضوعة وغير صحيحة ، علما أن معنى القصيدة وغرضها الرئيس يتخلخل عند حذف هذه الأبيات ، وإذا علمنا أن السجستاني هو من أشد المتعصبين على علماء الكوفة وكان يجنح الى الطعن بحماد الراوية والإنتقاص من روايته ، ولكن اللافت للنظر وعلى الرغم مما تقدم فأن السجستاني يعرف أنه لا

---

(٧٩) ينظر مختارات أشعار العرب : ٤٥٦

(٨٠) ينظر ديوان الحطيئة : ٩٠

(٨١) ينظر ديوان الحطيئة : ٧٦، ٧٧، ٧٩

مناص له من الإطلاع على رواية حماد للشعر والرجوع إليها والأخذ منها ليسد ما في روايته من ثغرات وبدلا من الإعتراف بفضل حماد الراوية عليه ، إلا أنه يجحد حقه وينكر معروفه ، فيقول كتبتها ليعرف الموضوع والواقع يقول إن اعتذاره أشد قبحا من ذنبه .

ومما تجدر الإشارة اليه أن حماد صنع ديوان الرباب(٨٢) وكذلك صنع المفضل الضبي الديوان ذاته(٨٣) ، وهذا يدل دلالة قوية على أن المفضل كان منافسا قويا لحماد وندا له فيما يصنع ويروي ، مثلما فعل معه حينما اختار القصائد السبع .

---

(٨٢) ينظر المؤتلف والمختلف : ٢٢

(٨٣) ينظر المؤتلف والمختلف : ٢٢

الخاتمـــة

مما تقدم يمكن القول بثقة واطمئنان أن حمادا الراوية إسم على مسمى ، وهو من رواة الشعر العربي الموثوق بمروياتهم ، وعلى الباحث والدارس والناقد عندما يريد أيصدر حكما أن يتجرد عن الأهواء والعواطف ، وينظر الى الامر بعين العدل ، ولا تأخذه في الحق لومة لائم ، صحيح أن حمادا كان في شبابه المبكر يصاحب اللصوص والشطار، ولكنه في النهاية رجل مسلم يقول: لا اله إلا الله ، وكنى بأحلى الكنى ـ أبي القاسم ـ كنية رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، ألسنا نؤمن أن الله عز وجل يغفر الذنوب جميعا إلا الشرك ؟ والرجل غير مشرك ، فلماذا لا نغير نظرتنا السابقة عن حماد ولا سيما بعد أن ظهرت براءته وقبل ذلك تاب الى رشده ، وتاب الى ربه ، وحسنت سيرته ، وظهر للجميع بوجه جديد ، وهذا أبو عمرو بن العلا شيخ الرواة ، وأحد القراء السبعة يوثق روايته ، ويؤكد صحة حفظه ، ورأينا الآراء والروايات كيف تتضارب ، وكيف يناقض أحدها الآخر ، وهي في المحصلة النهائية برأت حمادا مما رمي به ... إذ بهذه الرؤية الجديدة يكون حماد الراوية رجلا صالحا صادقا صدوقا موثوقا به ، وأنه استحق لقب الراوية عن جدارة واستحقاق ، والحمد لله أولا وآخرا ، ولى الله تعالى على نبيه محمد وآله وصحبه وسلم .

المصادر والمراجع

ـ الأغاني ـ لأبي الفرج الأصفهاني ، مصورة دار الكتب المصرية ، د. ت .

ـ الأمالي ـ لأبي علي القالي ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٨٧م .

ـ جهود أبي علي المرزوقي في الرواية والنقد واللغة ـ رسالة الدكتوراه ، للسيد زكي ذاكر العاني ، مقدمة إلى كلية الآداب ، جامعة بغداد .

ـ حلية المحاضرة من صناعة الشعر ـ أبو علي محمد بن عبد الحسن بن المظفر الحاتمي، تحقيق د. جعفر الكناني ، دار الرشيد ، (د. ت).

ـ الحماسة البصرية ـ لصدر الدين بن أبي الفرج ، حيدر آباد ، الهند ، ١٩٦٤م .

ـ الخصائص ـ أبو المفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تحقيق محمد علي النجار ، ط٢ ، ١٣٧٤هـ ـ ١٩٥٥م ، مصر .

ـ ديوان المفضليات ـ الأنباري ، ١٩٢٠م ، بيروت .

ـ ربيع الأبرار ـ الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) تحقيق د. سليم النعيمي، ١٩٨٢م ، بغداد .

ـ سمط اللآليء ـ لأبيي عبيد البكري ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، مصر ، ١٩٣٦م .

ـ شرح ديوان الحطيئة ـ تحقيق د. نعمان أمين طه ، ط١ ، ١٩٨٧م ، القاهرة .

ـ شرح ديوان زهير ـ صنعة ثعلب ، طبعة دار الكتب ، ١٩٤٤م ، مصر .

ـ شرح القصائد التسع المشهورات ـ أبو جعفر أحمد بن محمد النحاس .

ـ ابن خالويه وجهوده في اللغة (شرح مقصورة ابن دريد) تحقيق د. محمود جاسم درويش ، ١٩٩٠م ، بغداد

ـ طبقات فحول الشعراء ـ لمحمد بن سلام الجمحي ، قراءة وشرح محمود محمد شاكر ، مصر ، د. ت.

ـ العقد الفريد ـ أحمد بن عبد ربه ، تحقيق د.عبد المجيد الترحيني ، ١٩٨٧م ، بيروت .

ـ الفهرست ـ للنديم أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالوراق / تحقيق رضا تجدد ، د. ت .

ـ قطب السرور في أوصاف الخمور ـ الرقيق النديم ابراهيم بن القاسم ، تحقيق أحمد النجدي ، ١٩٦٩م ، دمشق .

ـ مجالس العلماء ـ الزجاجي ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ١٩٨٣م ، القاهرة .

ـ مختار الشعر الجاهلي ـ لهبة الله بن علي أبو السعادات العلوي المعروف بابن الشجري ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر للطبع ، الفجاله ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

ـ مختارات أشعار العرب ـ لأصمعي عبد الملك بن قريب (ت٢١٦هـ) ، شرح وترتيب عبد المتعال الصعيدي ، مكتبة القاهرة ، مطبعة الفجالة الجديدة ، ط٤ ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٨م القاهرة .

ـ مراتب النحويين ـ أبو الطيب اللغوي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة نهضة مصر ، ١٩٥٥م .

ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ـ للسيوطي ، شرح وتعليق محمد جاد المولى وزملائه ، ١٩٨٦م ، بيروت .
ـ المعارف ـ محمد بن قتيبة (ت٢٧٦هـ) تحقيق وتقديم ثروت عكاشة ، منشورات الشريف الرضي ، ط١، ١٤١٥هـ ، مصر .
ـ معجم الأدباء والمؤلفين ـ لياقوت الحموي ، دار الفكر ، ط٣، ١٩٨٠م ، القاهرة .
ـ معجم لسان العرب ـ لابن منظور ، أعاد بناءه على الحرف من الكلمة يوسف خياط ونديم المرعشلي ، بيروت ، د. ت.
ـ المعرب من الكلام الأعجمي على حرف المعجم ـ لأبي منصور الجواليقي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار الكتب المصرية ، ١٩٦٩م .
ـ المؤتلف والمختلف ـ للآمدي ، عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦١م ، القاهرة .
ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء ـ لأبي البركات الأنباري ، تحقيق محمد ابو الفضل إبراهيم ، مصر ، د. ت.
ـ وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان ـ لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، ط١ ، ١٩٤٨م ، القاهرة .